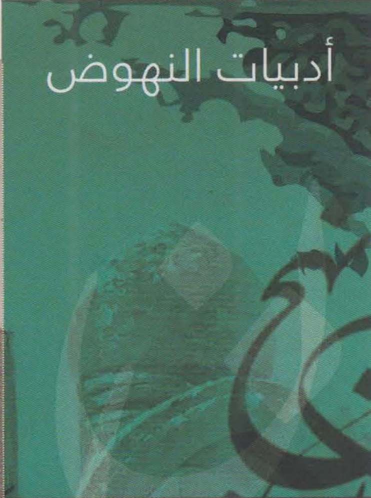


أدبيات النهوض







ليث عبد الحسين العتابي

نهج البلاغة في الدراسات الاستشراقيّة



دار المعـارف الحكميـة
Dar Al maaref Alhikmiah



نهج البلاغة
في الدراسات الاستشراقيّة

نهج البلاغة في الدراسات الاستشراقيّة

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-065-4

[٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ]



دار المعـارف الحكميـة

Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: لبنان – بيروت – سان تيريز – سنتر يحفوفي – بلوك c - ط ٣

تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ – email: almaaref@shurouk.org



تصميم:

only

Create

إخراج فني

إبراهيم شحوري

طباعة

DB UK 00961 3 336218

شركة دبوق العالمية للطباعة والتجارة العامة ش.م.م.

info@dboukart.com


بسم الله الرحمن الرحيم

إن الآراء والاتجاهات والتيارات الوارد الحديث عنها في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن توجهات **دار المعارف الحكمية** وإن كانت تقع في سياق اهتماماته المعرفية



المحتويات



مقدّمة الناشر

يشمل كتاب **نهج البلاغة** مجموعة من الخطب والمواعظ والعهود والرسائل والحكم والوصايا والآداب المنسوبة للإمام علي بن أبي طالب (ع)، تشكّل مدخلًا لكلّ أدب نهضويّ، فمنه نهلت عقول المسلمين، ومن فضائه أضأت نجوم الفكر، لذلك جَهِدَ المُعادون لهذا الخطّ المستقيم من أجل الحطّ من قيمته، فأثاروا حوله شبهات كثيرة كان أوّل من طرحها ابن خلكان في أواخر القرن السابع، واستمرّت هذه النزعة من بعده، فأنكره الذهبي واليافعي، والقنوجي، وابن حجر العسقلاني، وابن العماد الحنبلي وغيرهم. ولكنّ الشخصيات علميّة مرموقة من أصحاب العقولة الراجحة، كابن الحديد ومحمّد عبده، والفاضل الآلوسي وابن نباتة، أكّدوا النسبة لصاحبها، لأنّهم رأوا في الكلام أنوار الحقّ.

ولكنّ أسراب طيور الظلام ما برحت تحاول أن تتسلّل إلى عالم النور، تحاول أن تستره بغربال أحلامها، التي قضّها حضور كتاب **نهج البلاغة** لقرون طويلة، وقدرته على جذب العقول إليه، فعملت وتحت عنوان منهجيّات العلم المعاصر على التشكيك بالكتاب، ولكن من أقام بنيانه على أرض المعصوم يبقى شامخًا، فإن كانت الموجة الأولى انقضّت فقد لحقتها الثانية التي حمل لواءها المستشرقون.

هذا الكتاب، يرصد هذا الحراك الذي حاول الإيحاء أنّ هذا المعين لكلّ حراك نهضويّ من المعرفة والعلم والأخلاق ليس للإمام، حيث عمل الشيخ ليث عبد الحسين العتابي كاتب البحث الذي بين أيدينا **نهج البلاغة في الدراسات الاستشراقيّة** أن يعرض هذه الآراء والدراسات وأن يحلّل ما ورد فيها وأن يثبت نسبة الكتاب إلى صاحبه (ع) وأنّ الشريف الرضيّ قد جمعه مأجورًا بالدلائل والبراهين وقد أخذ دار المعارف الحكميّة على عاتقه نشر هذه الدراسة لما وجد فيها من الفائدة راجيًا من اللّه أن تقدّم خطوة إضافيّة على بساط البحث العلميّ.

وهو وإن جعل كتاب **نهج البلاغة** وإثبات نسبته للإمام علي (ع) هدفًا مركزيًّا له، ولكنّه لم يتوانَ عن استعراض أبراز التيّارات الاستشراقيّة وعملها على تقويض أسس الإسلام انطلاقًا من رؤية ترى أنّ تدمير الإسلام لن يتمّ إلّا من خلال القضاء على أدبيّاته عبر نسبتها إلى مصادر أخرى لنفي كلّ إبداع في الحضارة الإسلاميّة أو من خلال القول بعدم أصالتها.

فهذا الكتاب هو دراسة عن الاستشراق وأهدافه، ونهج البلاغة هو العنصر التطبيقيّ الذي عمل عليه الباحث للتنبيه على خطورة هذا التوجه وضرورة الردّ عليه، وتهفيت مقولاته.

نسأل اللّه تعالى أن يعين القرّاء للاستفادة ممّا ورد فيه.

واللّه من وراء المقصد





الإهداء

إلى الهادي بعد البشير النذير.

إلى الصراط القويم وشفيع المستجير.

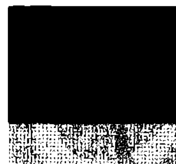
إلى باب اللّه تعالى ومقصد العائل والفقير.

إلى سيّدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

أهدي جهدي المتواضع هذا..



المقدّمة



لقد اهتمّت أوروبا بدراسة التاريخ الإسلاميّ وكلّ ما يتعلّق به منذ اليوم الأوّل الذي بدا فيه أنّ الإسلام منافس قويّ للكنيسة وللدين المسيحيّ. وكان لهذا الاهتمام دوافعه الدينيّة والاقتصاديّة والسياسيّة وكذلك العلميّة.

إنّ الدوافع التي حفّزت الأوروبيّين بشكل عامّ والمستشرقين منهم بشكل خاصّ لدراسة التاريخ الإسلاميّ تختلف باختلاف خلفيّات الشخص ودوافعه، فمنهم من عمل لدى مؤسّسات علميّة تهتمّ بقضايا العلم فقط، ومنهم من عمل عند الكنيسة في مهمّة تبشيريّة هدفها نشر المسيحيّة وطمس ما عداها، ومنهم من عمل بأجندات استعماريّة فتراه قد انصبّ عمله على الجهد الاستخباريّ الممهّد لمرحلة ما قبل الغزو.

والإنصاف يدعونا إلى التمحيص في معرفة دوافع كلّ مستشرق اهتمّ بالتراث الإسلاميّ، إذ من الخطأ أن نحكم على كلّ المستشرقين بأنّهم قد أضرّوا بالإسلام تعمّدًا.

إنّ ما يميّز دراسات المستشرقين للتراث الإسلاميّ هو (التباين) القائم على نوع الخلفيّات الثقافيّة التي يحملها (المستشرقون) أو التي يحملها من استقوا منهم معلوماتهم، لما قد أثّر عليهم من ظروف سياسيّة وغيرها لتبرز نتاجات أحكامهم بما اشتهر وذاع عنهم.

إنّنا وفي هذه الدراسة الموسومة **بـنهج البلاغة في الدراسات الاستشراقيّة**، سنحاول التركيز على الدراسات الاستشراقيّة ومقولات المستشرقين الذين تناولوا سيرة الإمام علي بن أبي طالب (ع) بشكل عامّ، وكتاب **نهج البلاغة** بشكل خاصّ، وذلك ضمن مدخل ممهّد يتناول هذه الدراسات وبما يحقّق الفائدة المرجوّة.

إنّ هذه الدراسة، وغيرها من الدراسات التخصصيّة، تقف في طريقها عدّة مشكلات لا بدّ من أن نورد بعضها ليتعرّف عليها القارئ، ولكي يأخذها بنظر الاعتبار من يريد البحث في هذا السفر الخالد. ذلك لنسعى من أجل حلّها وليكون تناولها منطلقًا نحو دراسات أدقّ وأعمق وأوسع، ومن هذه المشكلات:

١- إنّ المترجم إلى اللغة العربيّة من كتابات المستشرقين هو نزر يسير مقارنة بما لم يترجم من النتاجات الاستشراقيّة الكثيرة، ويكفي لذلك أن نستشهد بما أورده الدكتور عبد الجبّار الناجي في كتابه **التشيّع والاستشراق** باعتبار أنّ له ترجمات رائدة لكتابات المستشرقين، إذ قال، وعلى سبيل المثال في موضوع التشيّع، ما نصّه: "لم يدُر في خلدي في بداية الأمر حين شمّرت عن ساعدي، وجمعت أدوات بحثي، ومعدّاته لأرسم مخطّطًا لمفرداته الدقيقة، بأن تكون إسهامات المستشرقين عن التشيّع، وعن سير أهل البيت بمثل هذه الكثافة، والتركيز نوعًا وكمًّا...".

٢- ما تُرجم من النصوص والكتابات الاستشراقيّة قد اعتراه الكثير من الحذف، والانتقاء، والتحريف بحجّة (تعدّد المراد) و(الذوق الأدبيّ) من المترجمين للنتاجات الاستشراقيّة، إذ إنّ



أكثر المترجمين للنصوص الاستشراقيّة هم ليسوا على وفاق مع أتباع مدرسة أهل البيت، إن لم يكونوا أعداءً لها.

٣- ضعف الترجمة - وربّما انعدامها - للنتاجات الاستشراقيّة في المؤسّسات التابعة لأتباع مدرسة أهل البيت (ع) مع عدم الاهتمام بذلك الأمر مطلقًا. إذ لا بدّ لنا، بل من الواجب علينا، أخلاقيًّا ومعرفيًّا كقدر متيقّن، أنّ نترجم النتاجات الاستشراقيّة بأنفسنا لا أن نعتمد على غيرنا ممّن يُترجم وفق أيديولوجيا معيّنة بعيدة كلّ البعد عن الطرح المعرفيّ الحقيقيّ.

في مقابل ذلك، لا بدّ أن نقوم بحركة ترجمة معاكسة لنقل تراثنا الحقيقيّ - تراث مدرسة أهل البيت - إلى اللغات العالميّة الأخرى، عن الهروي قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم اللّه عبد أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلّمها الناس، فإنّ الناس لو سمعوا محاسن حديثنا لاتبعونا"[1].

٤- الضعف الواضح في تأسيس مراكز بحث قائمة على احترام النتاج المعرفيّ الحقيقيّ، واحترام الباحث المعرفيّ المختصّ. إذ إنّ أكثر المؤسّسات في عالمنا (العربيّ - الإسلاميّ) بشكل عامّ وفي واقعنا بشكل خاصّ، هي مؤسّسات إعلاميّة أكثر منها معرفيّة.

٥- الوقت الكافي، هي المشكلة الخامسة التي تقف في وجه

١| الشيخ الصدوق، **عيون أخبار الرضا (ع)**، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي (بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م)، الجزء ٢، الصفحة ٢٧٥.

السير بمثل هذه المشاريع التأسيسيّة المهمّة، مضافًا له توفير المكان الملائم لا مطلق المكان. إذ إنّ مشاريع كهذه تحتاج سفرات معرفيّة خاصّة، وأجواء خاصّة، وهذا، مع الأسف الشديد، ما تفتقر له أغلب المؤسّسات الفكريّة.

لقد حاولت، وعلى كلّ حال، في هذا البحث أن أتناول كتاب **نهج البلاغة** في دراسات بعض المستشرقين بما يشكّل مدخلًا عامًّا ومنطلقًا لدراسة **نهج البلاغة** وسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في الدراسات الاستشراقيّة.

إنّ المحور الأوّل الذي تناولناه في هذه الدراسة هي زوبعة التشكيك وما أورده المشكّكون في **نهج البلاغة** من ادّعاءات وتخرّصات لا وزن لها، ولا قيمة علميّة فيها، وما هي إلّا بروز واضح للأحقاد الدفينة على الإمام علي (ع) وعلى مدرسة أهل البيت (ع).

ثمّ كان لزامًا أن نبيّن من هو جامع **نهج البلاغة** لكي ندفع هذه الشبهة المثارة. إذ إنّ كلّ عاقل يعلم بأن جامع **نهج البلاغة** هو الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) وهذا ما صرّح هو به في مقدّمة الكتاب، وفي كتابه **حقائق التأويل** كذلك.

ثمّ كان لنا مرور على الاستشراق للتعريف به، إذ إنّ حقيقة وماهيّة (الاستشراق) تخفى على الكثيرين. وبعدها كانت لنا وقفة مهمّة جدًّا تناولنا فيها الأسس التي اعتمد عليها المستشرقون في قراءة التراث العربيّ - الإسلاميّ والتي هي: اعتمادهم على التراث الحديثيّ السنّيّ فقط في فهم أسس الإسلام وقضاياه المهمّة والرئيسة، واعتمادهم على تراث العصور





الوسطى الصليبيّ في التعريف بالإسلام وكلّ ما يتعلّق به، واعتمادهم على الكتابات غير الموضوعيّة للمستشرقين الأوائل ممّن هم مبشّرين مسيحيّين أو ممّن هم طلائع استخباراتيّة ممهّدة للاستعمار الأوروبيّ للعالم.

كما وتناولنا دراسات المستشرقين للتراث الإسلاميّ، من دراسات تناولت **القرآن الكريم**، ودراسات تناولت السيرة، ودراسات أخرى لهم حول التشيّع. فكانت لنا وقفة مهمّة تناولنا فيها موضوع: الإمام عليّ (ع) في دراسات المستشرقين. ففي هذا الموضوع، تتبعّنا ما استطعنا أن نصل إليه من دراسات، وليس ذلك بالجرد الشامل لكلّ الدراسات التي تناولت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، بل كان شعارنا في ذلك (ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه).

ثمّ كانت الوقفة المهمّة الثانية، إذ إنّ لها الحصّة الأكبر، التي تناولنا فيها موضوع: دراسات المستشرقين لنهج البلاغة. استهللناها بمدخل تعريفي عامّ، ثمّ قسّمنا الموضوع في دراسات المستشرقين بين (مشكّكين) أوردنا ذكرهم مع ردودنا عليهم. وآخرين (مادحين) تناولنا أقوالهم وبما يتناسب مع الموضوع.

وفي آخر هذه المقدّمة، نسأله تعالى أن يغفر لنا خطايانا وإسرافنا في أمرنا ويتوفّنا مع الأبرار محمّد وأهل بيته الأطهار متوجّهين إلى أمير المؤمنين (ع) بالقول: يا وجيهًا عند اللّه اشفع لنا عند الله.

والحمد لله ربّ العالمين

المؤلف/النجف الأشرف

١٤٣٧ هـ



التشكيك والمشكّكون في نهج البلاغة

لقد أُثيرت حول كتاب **نهج البلاغة** شبهات كثيرة، قديمًا وحديثًا، هدفها التشكيك في نسبة هـذا الكتاب، وهـذه الشبهات المثارة -تقريبًا- لها أصل واحـد، إذ إنّها قد زرعت في أواخر القرن السابع على يد ابن خلكان(١) (ت ٦٨١هـ) صاحب كتاب **وفيّات الأعيان** والذي مهّد بتشكيكاته على كتاب **نهج البلاغة** الأرضيّة للذين طعنوا بنهج البلاغة من بعده، تبعه على ذلك كلٌّ من اليافعي(٢) (ت ٧٦٨هـ) صاحب كتاب **مرآة الجنان**، وابن تيمية(٣) (ت ٧٢٨هـ) في كتابه **منهاج**

١| إنّ سرّ تسمية ابن خلكان كما تورد المصادر التاريخيّة هو: أنّ الرجل كان كثير الافتخار بأجداده، فيُكثر من قوله: (كان أبي، كان جدّي، كان أجدادي)، فكان يقال له: (خَلِّ كان، وتكلّم عن نفسك) إلى أن أصبحت لقبًا له. وقد نقل ذلك ابن العماد الحنبلي في شذراته عن أحد مشايخه: ومن إفاداته أنّ لفظ ابن خلكان ضبط على صورة الفعلين خلِّ أمر من التخلية وكان الناقصة قال وسببه أنّه كان يكثر قول كان والدي كذا كان جدّي كذا كان فلان كذا فقيل له خلِّ كان فغلبت عليه. ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، الجزء ٨، الصفحة ٤٢٢. وابن خلكان برمكيّ الأصل، فهو القائل عن يزيد بن معاوية بعد أن جمع أشعاره في ديوان: وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدّة غرامي به، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة بمدينة دمشق... وشعر يزيد مع قلّته في نهاية الحسن. ابن خلكان، **وفيّات الأعيان**، الجزء ٤، الصفحة ٣٥٤.

٢| أبو محمّد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكّيّ (٦٩٨- ٧٦٨هـ).

٣| ابن تيميّة: تقي الدين أحمد الحرّاني الدمشقي الحنبليّ (٦٦١ - ٧٢٨هـ). أصله غير عربيّ، كان معاديًا للصوفيّة والشيعة بسبب وبلا سبب، وكان من أشدّ النواصب لمذهب التشيّع، وهو أوّل من أفتى بحرمة زيارة قبر النبيّ محمّد (ص) ليقطع الطريق على كلّ زائر، وعدّ السفر إلى زيارة قبر النبيّ (ص) عملًا محرّمًا يجب إتمام الصلاة فيه، وهذه الآراء التي أطلقها اعتمدتها الحركة



السنّة[١]، وابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) في كتابه **شذرات الذهب**[٢]، والذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتابه **ميزان الاعتدال**[٣]،

الوهابيّة وأحلّت فتاوي ابن تيمية هدم قبور الصالحين. هذه الفتاوى سمحت للفقهاء بتأليف الكتب دفاعًا عن زيارة القبور، فوضع تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ) كتابين **شفاء السقام في زيارة خير الأنام والدرّة المضية في الردّ على ابن تيميّة**، ومؤلّفات أخرى في الردّ على ابن تيمية مثل (المقالة المرضيّة لقاضي قضاة المالكيّة تقي الدين أبي عبد اللّه الأخنائي) و(نجم المهتدي ورجم المقتدي للفخر ابن المعلّم الفرشي) و(دفع الشبه لتقيّ الدين الحصني) و(التحفة المختارة في الردّ على منكر الزيارة لتاج الدين الفاكهاني) و(إكمال المنّة في نقض منهاج السنّة لسراج الدين الهندي) و(منهاج الشريعة في نقض مناج السنّة للسيد مهدي القزويني) و(الإمامة الكبرى والخلافة العظمى للسيّد محمّد حسن الشيرازي) و(خبر الجهة لأحمد بن يحيى بن جبريل الشافعي) و(اعتراضات على ابن تيميّة لأحمد بن إبراهيم السروطي الحنفي) و(الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم لابن حجر الهيتمي) و(ابن تيميّة ليس سلفيًا لمنصور عويس) و(ابن تيميّة لصائب عبد الحميد) غيرها الكثير. قال ابن حجر العسقلاني في ذمّ منهج ابن تيميّة: "...وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدّته إلى تنقيص عليّ رضي اللّه عنه". ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، الجزء ٦، الصفحتان ٣١٩ و٣٢٠. وقال ابن حجر الهيتمي في ابن تيميّة: "ابن تيميّة عبد خذله اللّه، وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه، وبذلك صرّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله... ويعتقد فيه أنّه مبتدع ضالّ مضل جاهل غال وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته) الهيتمي، **الفتاوى الحديثة**، الصفحة ١٤٤. وفي مورد آخر يقول الهيتمي: (وإيّاك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزيّة وغيرهما ممّن اتخذ إلهه هواه... وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود...) الهيتمي، **الفتاوى الحديثة**، الصفحة ٢٠٣. وقال فيه تاج الدين السبكي: (وأعلم أنّ هذه الرفقة، أعني المزي والذهبي والبرزلي وكثيرًا من أتباعهم أضرّ بهم أبو العبّاس ابن تيمية إضرارًا بيّنًا... وأوقفهم في دكادك من نار...) السبكي، **طبقات الشافعيّة الكبرى**، الجزء ١٠، الصفحة ٤٠٠. وقال الألوسي في ابن تيميّة: (وأرى أنّ تشنيع ابن تيميّة، وابن القيم، وابن قدامة، وابن قاضي الجبل، والطوفي، وأبي نصر، وأمثالهم، صرير باب أو طنين ذباب... ولولا الخروج عن الصدد لوفيّتهم الكيل صاعًا بصاع... ولعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء...) **تفسير روح المعاني**، الجزء ١، الصفحتان ١٨ و١٩.

١| ابن تيميّة، **منهاج السنّة**، الجزء ٨، الصفحة ٥٥.

٢| ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، الجزء ٣، الصفحة ٢٥٧.

٣| **ميزان الاعتدال**، الجزء ٣، الصفحة ١٢٤.



وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في كتابه **لسان الميزان**[١]، والقنوجي[٢] (ت ١٣٠٧هـ) في كتابه **أبجد العلوم**.

وهنا نورد ذكر بعض هذه الادعاءات والتشكيكات المثارة حول **نهج البلاغة** والتي منها:

١- قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى: (وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) هل جَمَعَهُ أم جَمْعُ أخيه الرضيّ وقد قيل: إنّه ليس من كلام عليّ، وإنّما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، واللّه أعلم"[٣].

وقد اعترف سليمان بن صالح الخراشي بهذه الحقيقة في تحقيقه لكتاب **تشريح شرح نهج البلاغة** حيث قال: قال ابن خلكان وهو أوّل من شكّك في نسبة الكتاب عند ترجمته للشريف المرتضى[٤].

ويقول السيّد (عبد الزهراء الحسيني)[٥] عن ادعاءات ابن خلكان: "وليته دلّنا على واحد من أولئك الناس الذين اختلفوا في جامع نهج البلاغة، وليتك أخي القارئ تعثر لنا على واحد من أولئك الناس في الكتب المؤلّفة قبل **وفيّات ابن خلكان** وما أكثرها في

١| **لسان الميزان**، الجزء ٤، الصفحة ٢٢٣.

٢| محمّد صديق بن حسن القنوجي البخاري الهندي (١٢٤٨. ١٣٠٧هـ) المعروف أيضًا بـ (محمّد صديق خان).

٣| ابن خلكان، **وفيّات الأعيان**، الجزء ٣، الصفحة ٣١٣، والعلياني، **عقيدة ابن قتيبة**، الصفحة ٩١.

٤| **تشريح شرح نهج البلاغة**، الصفحة ٨.

٥| السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب (١٩١٩-١٩٩٣م).





هذا الوقت"[١].

كما ويقول الأستاذ (زكي مبارك)[٢] عن الشريف الرضيّ: "أمّا ضمير الشريف فهو عندي فوق الشبهات، وأمّا اتهامه بالكذب على أمير المؤمنين في سبيل النزعة المذهبيّة فهو اتهام مردود، ولا يقبله إلّا من يجهل أخلاق الشريف"[٣].

٢- قال الذهبي: "من طالع نهج البلاغة جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين علي؛ ففيه السبّ الصراح، والحطّ على السيّدين أبي بكر وعمر...، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممّن بعدهم من المتأخّرين، جزم بأنّ أكثره باطل"[٤].

٣- قال ابن تيميّة: "وأهل العلم يعلمون أنّ أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على عليٍّ، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدّم ولا لها إسناد معروف"[٥].

٤- أمّا ابن حجر العسقلاني، فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول: "ومن طالعه جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين علي.. وأكثره باطل" [٦].

واستنادًا إلى هذه الأخبار وغيرها، تناول عدد من الباحثين

١| مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب (بيروت: دار الأضواء، الطبعة ٢، ١٩٨٥م)، الجزء١، الصفحتان ١٠٢ و١٠٣.

٢| الدكتور زكي عبد السلام مبارك (١٨٩٢- ١٩٥٢م).

٣| زكي مبارك، **عبقريّة الشريف الرضيّ**، الصفحتان ٢٢٣ و٢٢٤.

٤| الذهبي، **ميزان الاعتدال**، الجزء ٣، الصفحة ١٢٤.

٥| **الإمامة والسياسة**، الجزء ٢، الصفحة ٣٠.

٦| ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، الجزء ٤، الصفحة ٢٢٣.



هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحّة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي[١].

مطاعن أثيرت على نهج البلاغة

يمكن لنا تلخيص أهمّ ما أورده القدامى والمحدثون من مطاعن أثيرت على كتاب **نهج البلاغة**، وذلك للتشكيك به وبصحّة نسبته للإمام علي (ع) بما يأتي[٢].

١- خلوّه من الأسانيد التوثيقيّة التي تعزّز نسبة الكلام إلى صاحبه؛ متنًا ورواية وسندًا.

٢- كثرة الخطب وطولها؛ لأنّ هذه الكثرة وهذا التطويل ممّا يتعذّر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أنّ خطب الرسول (ص) لم تصل إلينا سالمة وكاملة، مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

٣- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير الإمام علي (ع) وصاحب النهج يثبتها له.

٤- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به، والتي تنافي ما عُرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ(الشقشقيّة) التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما اشتهر

١| الألوسي، **مختصر التحفة الاثنا عشريّة**، الصفحة ٣٢.

٢| راجع: محمّد حسين الحسيني الجلالي، **دراسة حول نهج البلاغة**، **وما هو نهج البلاغة**، هبة الدين الشهرستاني.

عنه من التقشّف والزهد في الدنيا وحطامها.

٥- شيوع السجع فيه؛ إذ رأى عدد من الأدباء أنّ هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلّف الذي عرف به عصر الإمام علي (ع) مع أنّ السجع العفويّ الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه.

٦- الكلام المنمّق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبيّة التي هي من وشي العصر العباسيّ وزخرفه، ما نجده في وصف الطاووس والخفّاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب، وأمثالها.

٧- الصيغ الفلسفيّة الكلاميّة التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلّا في القرن الثالث الهجريّ، حين ترجمت الكتب اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلّمين منه بكلام الصحابة والراشدين[١].

٨- وجود إضافات وزيادات و(حشو) في هذا الكتاب، ممّا قد أضيف أو نُسب إلى أمير المؤمنين (ع) من أقوال وحكم وكلماتٍ وأشعار.

من الذي جَمع نهج البلاغة؟

إنّ المصادر التاريخيّة تؤكّد على أنّ جامع كتاب **نهج البلاغة** هو الشريف الرضيّ؛ فقد اهتمّ بجمع هذا الكتاب من مطاوي الكتب

١| العلياني، **عقيدة ابن قتيبة**، الصفحة ٩٣.



التي كانت موجودة آنذاك، وكان جمعه في غاية الدقّة والأمانة مع الحفاظ على أصل الكلام، ولم يتصرّف فيه إلّا بالاختصار وانتخاب الكلام البليغ كما أشار إليه في مقدّمة **نهج البلاغة** من أَنَّه يورد النكت واللمع ولا يقصد التتالي والنسق، ومع هذا كرّر بعض الخطب والحِكَم لورودها بأنحاء مختلفة، وهذا ممّا يدلّ على ضبطه وحرصه على نقل الكلام بصورته[١].

ويشهد لكون الشريف الرضيّ هو جامع **نهج البلاغة** ما يلي:

١- إحالات الشريف الرضي إلى **نهج البلاغة** في سائر كتبه، من قبيل **المجازات النبوية**، و**حقائق التأويل**، و**خصائص الأئمّة**.

قال الشريف الرضي في **حقائق التأويل**: "ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألّفناه ووسمناه "**بنهج البلاغة**"، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين (ع في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم، وبوّبناه أبوابًا ثلاثة، ليشتمل على هذه الأقسام مميّزة مفصّلة، وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف الكلم ونفائسها..."[٢].

٢- نسبة الجمع إلى الشريف الرضيّ الواردة في كتب التراجم

١| راجع: مقدّمة كتاب **نهج البلاغة**، تحقيق: هاشم الميلاني (طبعة العتبة العلويّة المقدّسة، الطبعة ١، ٢٠١١م).

٢| الشريف الرضيّ، **حقائق التأويل**، شرح: محمّد رضا آل كاشف الغطاء (بيروت: دار المهاجر)، الصفحة ١٦٧.



أمثال: **رجال النجاشي**، و**معالم العلماء** لابن شهر آشوب، و**خلاصة الأقوال** للعلّامة الحلّي وغيرها.

٣- سلسلة الإجـازات الموصولة إلى الشريف الرضيّ بطرق عديدة، وقد ذكرها العلّامة السيّد محمّد حسين الحسيني الجلالي[١] في مقدّمة كتاب **إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين** والذي هو من تأليف يحيى بن إبراهيم الجحاف اليمني (ت ١١٠٢هـ).

٤- الاهتمام البالغ من الكتّاب والمؤلّفين بشرح **نهج البلاغة** والتعليق عليه عبر القرون من دون غمز في جامعه.

إنّ جامع **نهج البلاغة** هو الشريف الرضيّ؛ الذي ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع) بـ(١٢) واسطة، جمعه خلال (١٧) عامًا تقريبًا، من سنة (٣٨٢هـ) إلى سنة (٤٠٠هـ).

يحتوي **نهج البلاغة** على (٢٤٢) خطبة وكلامًا، و(٧٨) كتابًا ورسالة، و(٤٩٨) حكمة مفردة. أمّا شروحه، فقد تعدّدت الأقوال فيها، نذكر منها:

١- بلغت شروح نهج البلاغة (٧٥) شرحًا حسب قول العلّامة الأميني[٢] (رحمه اللّه) في كتابه **الغدير**[٣].

٢- وبلغت (١٠١) شرحًا بحسب قول السيّد عبد الزهراء

١| ويمكن الرجوع إلى كتابه: **دراسة حول نهج البلاغة**.
٢| العلامة الأميني (١٣٢٠- ١٣٩٠هـ).
٣| العلّامة الأميني، **الغدير**، الجزء ٤، الصفحات ١٦٤ - ١٦٩.



الخطيب الحسينيّ، في كتابه حول نهج البلاغة[١].

٣- وبلغت (٢١٠) شرحًا كما ورد في الكتاب الذي ألّفه الشيخ حسين جمعة العاملي والذي يحمل عنوان **شروح نهج البلاغة ٢١٠ شرحًا**.

الشريف الرضيّ في سطور

هو أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمّد بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام أبي إبراهيم موسى الكاظم (ع).

وأُمّه السيّدة فاطمة بنت الحسين بن أبي محمّد الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب (ع).

ولد في بغداد عام (٣٥٩هـ) وتوفّي عام (٤٠٦هـ). كان للشريف الرضيّ شقيق واحد هو السيّد المرتضى، (ت ٤٣٦هـ) وشقيقتان وهما زينب وخديجة، توفّيت إحداهما في حياته فتأثّر بوفاتها ورثاها بقصيدة طويلة، وتوفّيت الأُخرى بعد وفاته وذلك أواخر شعبان عام (٤١٩هـ).

وله ولد واحد هو أبو أحمد عدنان وهو الملقّب بالطاهر ذي المناقب، قال عنه ابنُ عنبة في **عمدة الطالب**: "فولد الرضي أبو الحسن محمّد، أبا أحمد عدنان، يلقّب الطاهر ذا المناقب،

١ | **مصادر نهج البلاغة وأسانيده**، الجزء ١، الصفحتان ٢٤٨ و٣١٣.

لقب جدّه أبي أحمد الحسين بن موسى، تولّى نقابة الطالبيّين ببغداد على قاعدة جدّه وأبيه وعمّه، قال أبو الحسن العمري: هو الشريف العفيف المتميّز في سداده وصونه..."[١].

توفّي الشريف الرضيّ في السادس من شهر محرّم عام (٤٠٦هـ)، ورثاه الكثير من الشعراء والأُدباء، وعند وفاته حضر إلى داره الوزير أبو غالب فخر الملك وسائر الوزراء والأعيان والأشراف والقضاة حفاة ومشاة، وصلّى عليه فخر الملك ودفن في داره الكائنة في محلّة الكرخ، ولم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى ولم يصلّ عليه، ومضى من جزعه عليه إلى الإمام موسى بن جعفر (ع)، لأنّه لم يستطع النظر إلى تابوته.

وذكر الكثير من المؤلّفين نَقلَ جثمانه إلى كربلاء المشرّفة بعد دفنه في داره بالكرخ، فدفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى. ويظهر من التاريخ أَنَّ قبره كان مشهورًا معروفًا في الحائر الحسينيّ المقدّس[٢].

لماذا سمّي بـ (نهج البلاغة)؟

يقول الشريف الرضيّ: إنّه بعد أن فرغ من كتابة القسم الأوّل من كتاب **خصائص الأئمّة** باسم (خصائص أمير المؤمنين (ع))، وبطلب من بعض معارفه، جمع خطب وكتب وكلمات أمير المؤمنين (ع) وسمّاها بـ(**نهج البلاغة**). وقد كتب في مقدّمته

١| **عمدة الطالب**، الصفحة ٢١١.
٢| راجع: العلّامة الأميني، **الغدير**، الجزء ٤، الصفحة ٢١٠.



السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب النفيس، وجاء فيها: "وكنت في عنفوان السنّ وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب **خصائص الأئمّة**: يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم... وفرغت من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين عليه السلام وعاقت عن إتمام بقيّة الكتاب محاجزات الزمان... فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين ببدائعه.. وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين (ع) في جميع فنونه، ومتشعّبات غصونه، من خطب وكتب ومواعظ وآداب، علمًا أنّ ذلك يتضمّن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربيّة وثواقب الكلم الدينيّة والدنيويّة ما لا يوجد مجتمعًا في كلام ولا مجموع الأطراف.. فأجبتهم إلى الابتداء بذلك، عالمًا بما فيه من عظيم النفع.. ورأيت كلامه (ع) يدور على أقطاب ثلاثة:

أوّلها: الخطب والأوامر.

ثانيها: الكتب والرسائل.

ثالثها: الحكم والمواعظ.

فأجمعت بتوفيق اللّه تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثمّ محاسن الحكم والأدب، مفرِدًا لكلّ صنف من ذلك بابًا ومفصلًا فيه أوراقًا مقدّمة لاستدراك ما عساه يشذّ عني عاجلًا ويقع إلى عاجلًا.. ولا أدّعي مع ذلك أنّي أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتّى لا يشذّ عني منه شاذّ ولا يندّ ناد، بل لا أبعد أن يكون القاصر عنّي فوق الواقع إليّ والحاصل



في ربقتي دون الخارج من يدي.. ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة"[١].

كما ويقول الشريف الرضيّ في كتابه **حقائق التأويل**: "ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألّفناه ووسمناه بـ(نهج البلاغة)، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين (ع) في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم، وبوّبناه أبوابًا ثلاثة، ليشتمل على هذه الأقسام مميّزة مفصّلة، وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائف الكلم ونفائسها..."[٢].

١| مقدّمة كتاب **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، الصفحة ١٧، وشرح صبحي الصالح، الصفحة ٣٣.

٢| **حقائق التأويل**، مصدر سابق، الصفحة ١٦٧.

الاستشراق مدخل عامّ
الاستشراق تاريخه ونشأته واهتماماته

اختلف الباحثون والكُتّاب في تحديد البدايات الأولى لحركة (الاستشراق)، إلّا أنّه يمكن إجمال بعض الأقوال بهذا الشأن:

يقول الدكتور سمير سلمان إنّه نشأ في القرن التاسع الميلادي[١]، ويذهب كلٌّ من بطرس البستاني[٢] ونجيب العقيقي[٣] إلى أنّه نشأ في القرن العاشر الميلادي، ويذهب المستشرق الألمانيّ رودي بارت[٤] إلى أنّه نشأ في القرن الثاني عشر.

لكن يمكن تحديد البداية الرسميّة للاستشراق[٥] بصدور قرار (مجمع فيينا الكنسي) عام (١٣١٢ ميلاديّ)[٦]، وذلك عبر الأمر بتأسيس عدد من كراسي الأستاذيّة في اللغات العربيّة، اليونانيّة، والعبريّة، والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا. وإن مصطلح مستشرق (Orientalist) ظهر لأوّل مرّة

١| سمير سلمان، "الجذور التكوينيّة للاستشراق في الأندلس"، مجلة **التوحيد**، العدد **٣٢**، ، الصفحة ١٢٣.

٢| بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث**، الصفحة ٣٤٠.

٣| نجيب العقيقي، المستشرقون، الجزء ١، الصفحة ١١٠.

٤| رودي بارت، **الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة**، الصفحة ٩.

٥| هناك رأي يقول: بأنّ بدايات الاستشراق كانت في أيّام الدولة الأمويّة في القرن الثاني الهجريّ، وإنّ الاستشراق قد نشط في الشام بواسطة الراهب (يوحنا الدمشقي) في كتابين له هما **حياة محمّد** و**حوار بين مسيحي ومسلم**.

٦| ومنهم من يرى أنّه بدأ سنة (١٢٥٠ ميلادي) بعد أن غادر لويس التاسع مدينة دمياط إلى عكّا وكانت صيحته بعد هزيمته: (لنبدأ حرب الكلمة فهي وحدها القادرة على تمكيننا من هزيمة المسلمين).

في إنكلترا عام (١٧٧٩ ميلادي)، وفي فرنسا عام (١٧٩٩ ميلادي)، وأدرج مصطلح (الاستشراق) في قاموس الأكاديميّة الفرنسيّة عام (١٨٣٨ ميلادي).

ومع الافتراق وعدم الاتحاد في تحديد البدايات الفعليّة لحركة (الاستشراق) إلّا أنّ معظم الباحثين يُجمعون على أنّ نشأته كانت تبشيريّة بحتة بكلّ وسائلها وأهدافها.

الأسس التي اعتمد عليها المستشرقون في قراءة التراث العربيّ الإسلاميّ

لو رجعنا إلى الوراء لمعرفة الأسس التي اعتمد عليها المستشرقون في قراءة وفهم التراث (العربيّ الإسلاميّ) لوجدناه يتمحور في ثلاثة أسس رئيسة هي:

أوّلًا: الاعتماد على التراث الحديثي السنّيّ فقط.

فقد اعتمد المستشرقون في قراءة الإسلام على التراث السنّيّ فقط بكلّ ما به من أخطاء وتحريفات ووضع. فالمتتبع لكتب الصحاح وبالخصوص **صحيح البخاري**[1] يجده يذكر أحاديث كثيرة لأحكام فقهيّة لم يقل بها الرسول (ص) بل هي لغيره كما في

١| البخاري؛ أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن (بردذبه) أي الزراع، وكان جدّه (المغيرة) مجوسيًّا كأبيه، أسلم على يد اليمان البخاري الجعفي، لذلك قيل للبخاري جعفي، لأنّه مولى يمان الجعفي، ولد سنة (١٩٤هـ). وتوفّى سنة (٢٥٦هـ) دفن بخرنتك قرية على فرسخين من سمرقند، والبخاري نسبة إلى بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام.

كتاب البخاري (٨٦) كتاب الحدود (٣١) باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، فنجد هذا الباب وما يترتّب عليه من أحكام مبنيّ على حديث منسوب لعمر بن الخطاب لا إلى الرسول محمّد (ص)، ولا يوجد في هذا الباب قول للرسول (ص) وهو الموحى إليه. فكيف أصبح كلام غيره تشريعًا بوّب له وعلى المسلمين العمل به، أكان البخاري في هذا وغيره غافلًا أم متعمّدًا؟!

يقول أحمد صبحي منصور بهذا الصدد: "نحن لا نوافق على المقولة الشهيرة؛ بأنّ البخاري أصح كتاب بعد القرآن"[١].

كما ويقول: "وأولئك الذين يحملون في قلوبهم قدسيّة للبخاري تعصمه من الوقوع في الخطأ إنّما يرفعون البخاري إلى مكانة الألوهيّة من حيث لا يدرون أو من حيث يدرون"[٢].

كما ويقول الشيخ (محمّد رشيد رضا)[٣] في معرض كلامه عن صحيح البخاري: "ما كلّف اللّه مسلمًا أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكلّ ما فيه"[٤].

فـمثلًا "يدّعي البخاري أنّ عائشة قالت "كان النبيّ يتكئ في حجري وأنا حائض ثمّ يقرأ القرآن".. هكذا.، ضاقت كلّ الأماكن ولم تعد هناك مساجد ولا قيام لليل مع طائفة من الذين آمنوا.. حتّى يلجأ النبيّ إلى ذلك في زعم البخاري"[٥]. ف "على المسلم...

١| أحمد صبحي منصور، **القرآن وكفى مصدرًا للتشريع الإسلاميّ**، الصفحة ١٠٨.
٢| المصدر نفسه، الصفحة ١٠٨.
٣| محمّد رشيد رضا (١٨٦٥- ١٩٣٥م).
٤| محمّد رشيد رضا، **تفسير المنار**، الجزء ٢٩، الصفحتان ١٠٤ و١٠٥.
٥| المصدر نفسه، الصفحة ١١٥.

أن ينتصر للنبيّ محمّد (ص) الذي ظلمه البخاري بتلك الأكاذيب المفتراة، وقد فعل البخاري ذلك عمدًا وعن علم ودراية بما يفعل. وهذا واضح لكلّ ذي عقل ناقد وفهم لحرفة الكتابة والتأليف. والانتصار للنبيّ (ص) يعني شيئًا محدّدًا هو أن يرفع المسلم صوته، إن لم يستطع الكتابة، معلنًا للناس أنّ البخاري عدوّ للّه تعالى ورسوله لينبّه المسلمين إلى هذه الحقيقة وليدلّهم عليها ويدعوهم إلى قراءة البخاري وطعنه المستمرّ والمستتر لخاتم النبيين"[١].

لذا "فإنّ الواجب أن نغضب لنبيّ الإسلام المظلوم (ص) الذي فضحه البخاري بتلك الأكاذيب أمام العالم كلّه ومنذ أكثر من اثنتي عشر قرنًا من الزمان"[٢].

هذا من جانب، ومن جانب آخر ف "إنّ الممارسات الخاطئة للعقيدة الإسلاميّة من قبل العديد من الذين تسلّطوا على المسلمين باسم الخلافة هم الذين شوّهوا صورة الإسلام والمسلمين"[٣].

فقد أضفى الكُتّاب من المرتزقة ووعّاظ السلاطين والمأجورين هالة من القدسيّة وصلت، في بعض من يدّعي الصحبة، إلى ما تجاوز حدّ الأنبياء بل إنّ بعض من يسمّى بـ(الصحابي) وصل إلى مرتبة الألوهيّة.

١| المصدر نفسه، الصفحة ١٣٤.
٢| المصدر نفسه، الصفحة ١٣٥.
٣| راجي أنور هيفا، **الإسلام والغرب حوار الحروف وصدام السيوف**، الصفحة ٥٩.



يقول ابن عرفة المعروف بـ(نفطويه)[١]: "إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيّام بني أميّة تقرّبًا إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم"[٢].

نعم، "لقد شاء بعض رواة الحديث أن يتعمّدوا الإساءة إلى شخصيّة الرسول الكريم (ص) من خلال ما نسبوه إليه من أحاديث وأعمال تتنافى مع أبسط القواعد الأخلاقيّة، وقد تعمّدوا فعل ذلك كي يبرّروا أفعال وفضائح الحكّام الأمويّين والعباسيّين، وبالتالي فقد أرادوا أن يرفعوا من شأن خلفائهم ولكن على حساب شرف وكرامة رسول اللّه (ص).."[٣].

يقول الكاتب والمحامي الأردني أحمد حسين يعقوب[٤]: "ومن المدهش حقًّا أنّ الخلفاء الذين عطّلوا سنّة رسول اللّه، المتعلّقة بنظام الحكم، وأحلّوا محلّها سنّتهم الوضعيّة، قد نجحوا بإقناع الأغلبيّة الساحقة من المسلمين، بأنّ قواعد سنّة الخلفاء هي النظام السياسيّ الإسلاميّ الوحيد وأنّه ليس في الإسلام سواها، وما زالت خاصّة الأغلبيّة وعامّتها يجترّون هذا الزعم منذ ١٤ قرنًا"[٥].

كما ويقول الكاتب المصري المعروف (محمود أبو ريّة)[٦]: "إنّ

١| أبو عبد اللّه إبراهيم بن محمّد بن عرفة الأزدي العتكي، من أحفاد المهلب بن صفرة، المعروف بنفطويه المولود في واسط سنة (٢٤٤هـ) والمتوفى في بغداد سنة (٣٢٣هـ). كان من أئمّة النحو ذوي الشهرة الكبيرة.

٢| **النصائح الكافية**، الصفحة ٧٤، وشرح **نهج البلاغة**، الجزء ١١، الصفحة ٤٦.

٣| راجي أنور هيفا، **الإسلام والغرب حوار الحروف وصدام السيوف**، الصفحة ٧٢.

٤| أحمد حسين يعقوب (١٩٣٩- ١٩٩٨م).

٥| أحمد حسين يعقوب، **أين سنّة الرسول وماذا فعلوا بها؟**، الصفحة ٨.

٦| محمود أبو ريّة (١٨٨٩- ١٩٧٠م).

هؤلاء المستشرقين الذين تنحطون عليهم، وترمونهم دائمًا بأنّهم يطعنون في ديننا، ويشوّهون ديننا وعملنا، هم في الحقيقة لم يتجنّوا علينا، ولم يفتروا شيئًا من عند أنفسهم، وإنّما وجدوا مادّة خصبة من الخرافات والأوهام قد انبثّت في ديننا ونُسب بعضها – وأسفاه - إلى النبيّ (ص)، فتشبّثوا بها، وتسلّقوا عليها، وانتقدونا من أجلها..."[١].

إذًا، فإنّ المشكلة الأولى والأساسيّة والرئيسة موجودة في التراث (العربيّ - الإسلاميّ)، والمتمثّلة بالمنظومة التراثيّة الحديثيّة، والتي تعاني من تناقض واضح وجليّ بين ما هو موجود فيها وبين ما هو مثبت ومبين في القرآن الكريم، في حدّ المعلوم والظاهر منه، ولا بدّ أن ينطلق العلاج من هذه المنظومة التي أعطت الفرصة لنقد الإسلام، والتجنّي عليه، ومحاربته، وطعنه في الصميم من قِبل غير المسلمين.

ثانيًا: الاعتماد على تراث العصور الوسطى

فقد اعتمد المستشرقون في فهم ماهيّة وحقيقة الإسلام على تراث العصور الوسطى الذي بنته العقليّة الصليبيّة[٢] وروّجت له الكنيسة.

إذ "تعتبر الحروب الصليبيّة التي شنّتها الكنيسة الكاثوليكيّة

١| محمود أبو ريّة، **شيخ المضيرة**، الصفحة ٢٣.

٢| لقد بدأت أحداث الحركة الصليبيّة الفعليّة ضدّ الإسلام سنة (١٠٩٥ ميلاديّ) بالخطبة التي ألقاها البابا (أوربان الثاني) في جموع الجماهير المحتشدة في منطقة كليرمون جنوب فرنسا، وكان هذا البابا ذا أصل يهوديّ، فأرادها حرب إبادة للمسيحيّة وللإسلام على حدٍّ سواء.

على المسلمين نقلة في العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، وبالتالي في الكتابات التي نشرها المتوّلون لأمر الدعاية الكنسية..."[١]. وذلك لأنّ "الكنيسة المسيحيّة... رأت في نهوض وتصاعد تعاليم محمّد عقيدة منافسة..."[٢].

فهذا الكاتب والمفكّر الغربي (غاردنر) يبيّن حقيقة الحروب الصليبيّة وهدفها الرئيس إذ يقول: "لقد خاب الصليبيّون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحيّة في قلب العالم الإسلاميّ... والحروب الصليبيّة لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام"[٣].

ومن المعلوم أنّ تراث العصور الوسطى بشأن الإسلام هو تراث معادي وصف المسلمين بالوحوش والإسلام بأشنع الأوصاف، ووصف النبيّ محمّد (ص) بصفات لا يمكن لنا أن نذكرها لبشاعتها. فيمكن القول: "إنّ ما ورد من تفسيرات حاقدة في مؤلّفات كتاب العصور الوسطى قد أثّرت في الفرد الأوروبيّ كثيرًا، ثمّ اتسع الاعتماد عليها في تشويه صورة الإسلام حتّى أنّ الشاعر الإيطاليّ "دانتي" هو الآخر قد صوّر الرسول الكريم تصويرًا حاقدًا - حاشاه الله - في الكوميديا الإلهيّة، وتجاوز تأثير هذه الأساطير والأباطيل حتّى امتدّ إلى كتابات القرن السابع عشر للميلاد، ثمّ بعد أن توسّع الأفق الأوروبيّ وظهرت بوادر

١| خضر شايب، **نبوّة محمّد (ص) في الفكر الاستشراقي المعاصر**، الصفحة ٤٥.

٢| فرانشيسكو كبرييلي، **محمّد والفتوحات الإسلاميّة**، الصفحة ٦٣.

٣| عمر فرّوخ ومصطفى خالدي، **التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة**، الصفحة ١١٥.





عصر النهضة الأوروبيّة علميًّا وفكريًّا، ثمّ بعد أن تمّ اكتشاف العديد من المخطوطات الإسلاميّة بشأن حياة الرسول والدعوة الإسلاميّة، وقراءة كتاب المستشرق البريطانيّ "همفري بريدو" الموسوم **حياة محمّد**، نجده كتابًا مملوءًا بتفسيرات الرهبان في العصور الوسطى...و تتضح تفسيرات ومواقف "بريدو" المتعصّبة من رسول اللّه في كتاب نشره عام "١٦٩٧ ميلاديّ" يحمل عنوانًا حاقدًا هو: **الطبيعة الحقيقيّة لدجّال كلتي عكسته بوضوح حياة محمّد**، وقد ترجم إلى اللغة الفرنسيّة"[١].

فكانت تعاليم (الكنيسة) وعقليّة (القرون الوسطى الصليبيّة) هي المحرّك الدائم والأبديّ حتّى يومنا هذا لكثير من كُتّاب الغرب ومؤلّفيهم ومنظّريهم عند تعرّضهم لذكر الإسلام.

ساعدتهم على ذلك (المنظومة الحديثيّة) المشوّهة، وبعض المتزلّفين والمتملّقين و(العملاء) من أبنائها غير الشرعيّين في أن توّجه وعلى الدوام الانتقادات والطعنات للدين الإسلاميّ والمسلمين، وما من موقف لنا سوى الدفاع فقط.

فإن أردنا المجابهة وترك أسلوب (الدفاع) الذليل والتكلّم بثقة واندفاع، فلا بدّ من إصلاح أنفسنا أوّلًا، وتقويم أخطائنا، ونبذ كلّ ما هو مستهجن من (تراثنا) الإسلاميّ الأصيل، والرجوع إلى المعين الصافي في فهم حقيقة الإسلام ألا وهم أهل البيت النبيّ (ص)؛ فهم طريقنا في النجاة والديمومة والارتقاء.

١| عبد الجبّار ناجي، **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ١٣٩.



ثالثًا: الاعتماد على الكتابات غير الموضوعيّة للمستشرقين الأوائل

نحن على علم بأنّ أكثر المستشرقين كتب لخدمة أهداف دينيّة واقتصاديّة واستعماريّة موجّهة ضدّ الإسلام والمسلمين. بل كانت أهداف أكثرهم مقصودة، وذلك في سبيل الطعن والتشويه. فيقول الدكتور عبد الجبّار ناجي عند تعرّضه لكتابات المستشرقين حول سيرة النبيّ محمّد (ص) والهدف منها: "... مع العلم بأنّ جميع هذه الدراسات أو في الأغلب الأعمّ احتوت على استنتاجات وتفسيرات غير منصفة بحقّ رسول اللّه، أو بالأحرى حاقدة ومسيئة له..."[١].

فالكتابات الاستشراقيّة الحاقدة سُلِّطت على الإسلام وشخص النبيّ محمّد (ص) حقدًا وحسدًا وبغضًا وثأرًا. كلّ ذلك ليعكس مدى (دوغمائيّة)[٢] الفكر الغربيّ تجاه الأفكار الأخرى، ويعكس مدى التهميش الموجود في الغرب للشعوب غير الغربيّة، ويثبت نظريّة (سيادة العرق الغربيّ) المعمول بها في الغرب، والمرتكِزة في ذات الفرد الغربيّ على المستوى العمليّ عند نظرهم إلى الشعوب الأخرى. كلّ ذلك دفع بقادة الاستشراق (المؤدلج) إلى رمي الإسلام بالاتهامات الباطلة، وإلى الادّعاء على نبيّ الإسلام (ص) بكلّ ما يحلو لهم من أباطيل وأكاذيب ما أنزل اللّه بها من

١| عبد الجبّار ناجي، **التشيّع والاستشراق**، الصفحتان ١١ و١٢.

٢| دوغمائيّة أو دوغماتيّة: هي التعصّب لفكرة دون قبول النقاش فيها (الجمود الفكريّ). وتسمّى أيضًا بـ الجزميّة والاستبداديّة والدمغيّة واللادحضيّة واللاشكيّة.





سلطان، وليقفوا حاجزًا منيعًا أمام الأفكار الإسلاميّة خوفًا من أن تتأثّر بها شعوبهم، وخشية من أن يكون لتلك الشعوب موقف إيجابيّ من الإسلام.

يقول المستشرق الإنكليزيّ (مونتغمري وات)[١] في هذا الصدد: "ليس بين رجال العالم رجل كثر شأنه كمحمّد...فلقد كان الإسلام خلال قرون عدّة العدوّ الأكبر للمسيحيّة...وأخذت الدعاية الكبرى في القرون الوسطى تعمل على إقرار فكرة "العدوّ الأكبر" في الأذهان، حتّى ولو كانت تلك الدعاية خالية من كلّ موضوعيّة...حتّى إذا ما حلّ القرن الحادي عشر كان للأفكار الخرافيّة... في أذهان الصليبيّين أثر يؤسف له..."[٢].

ولقد كان للاستشراق الدور الكبير في تجهيل الشعوب وبالخصوص الإسلاميّة، وإشاعة فكر الأساطير وبثّ الخرافات على أنّها هي الممثّل للفكر الإسلاميّ، أو هي التراث الحقيقيّ والوحيد للتاريخ الإسلاميّ. حتّى إذا ما تَثبتَ ذلك وجهّوا نقدهم للإسلام وصرّحوا بكلّ وقاحة إنّ الإسلام ما هو إلّا مجموعة خرافات.

يقول الدكتور (محمود قاسم) عن أهداف الاستشراق الحقيقيّة: "...إنّ الاستعمار الفرنسيّ للجزائر استطاع بجبروته وعسفه أن يفرض لغته على كثير من المثقّفين في الجزائر وشمال إفريقية،

١| مونتغمري وات: اسكتلندي الأصل، أمريكيّ الجنسيّة، من رجال اللاهوت المسيحيّ، له **عوامل انتشار الإسلام** و**محمّد في مكّة** و**محمّد في المدينة** و**محمّد النبيّ ورجل الدولة**.

٢| مونتغمري وات، **محمّد في المدينة**، الصفحة ٤٩٣.



غير أنّه لم يستطع أن ينال كثيرًا من العقيدة الإسلاميّة، رغم ما بذله المختصّون في شؤون الثقافة من محاولات لفصم العقليّة الجزائريّة عن طريق تمجيد التصوّف الكاذب، ولإشاعة الخرافات والأباطيل، على نحو ما نراه في مؤلّفات "لويس ماسينيون" الذي خصّص حياته للكتابة في "الحلّاج" فجعله صورة من المسيح في الإسلام، وأعتقد أنّ "ماسينيون" ما كان يعنى "بالحلّاج" قدر عنايته بتنفيذ مخطّط استعماريّ أُحكم صنعه؛ فقد ملأ كتابه الضخم عن "الحلّاج" بحشد هائل من الخرافات والترّهات والأباطيل، حتّى يعمّق الهوّة بين طائفتين توجدان بالجزائر: "طائفة تتمسّك بالقديم" فتنساق حسب ظنّه إلى اعتقاد أنّ هذه الخرافات والهذيانات هي صميم الإسلام. و"طائفة مثقّفة بالثقافة الحديثة" تتّجه من جانبها إلى السخرية والزراية بهذا الإسلام الخرافيّ، بل من الإسلام كلّه"[١].

وهنا نذكر مجموعة من أقوال المستشرقين وبعض كتّاب الغرب لنبيّن مدى عدم موضوعيّتهم عند تناولهم القضايا الخاصّة بالإسلام:

يقول المستشرق النمساويّ الأمريكيّ الجنسيّة (غوستاف فون غرونباوم)[٢] في معرض كلامه عن **القرآن الكريم**: "والكتاب الذي بين أيدينا ليس هو الكتاب الذي بلّغه محمّد. وفي الواقع، فإنّه

١| الدكتور محمود قاسم، **الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائريّة**، الصفحات ٧ و٣٥ و٧٠.

٢| غوستاف فون غرونباوم (١٩٠٩- ١٩٧٢ ميلادي) مستشرق نمساوي امريكي الجنسية، أستاذ الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا، له (المسلمون)، يعتبر بأن الإسلام هو مجموعة نقائض.

لم يبلغ أبدًا أي كتاب، واكتفى بأنّ نقل أشياء متفرّقة هي عبارة عن رؤى قصيرة وأوامر وحكم وخرافات وخطب عن مذهبه"[١].

ويقول المستشرق (هنري لامنس) في معرض حقده على الإسلام: "ولولا الإسلام لاستطاع اليهود والنصارى أن يقتسموا الجزيرة العربيّة"[٢].

ويقول (لورنس براون) في معرض كلامه عن خطر الإسلام والثقافة العربيّة على العالم: "إذا اتّحد المسلمون في إمبراطورية عربيّة أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا..."[٣].

أمّا القسّ (فرانكلين جراهام)[٤] فيقول عن الإسلام: "ينبغي علينا الوقوف بوجه هذا الدين، الذي يقوم على العنف...إنّ إله الإسلام ليس إلهنا، والإسلام دين شرير وحقير"[٥]..

ويقول (صاموئيل هنتنغتون)[٦]: "المشكلة المهمّة بالنسبة للغرب ليست الأصوليّة الإسلاميّة، بل الإسلام..."[٧].

الجهد الاستشراقيّ بين المصلحة والإنصاف

شاع عن الجهد الاستشراقيّ أنّـه (استعماريّ) و(تبشيريّ)

١| غوستاف فون غرونباوم، **إسلام العصور الوسطى** (١٩٤٦م).

٢| هنري لامنس، **غرب الجزيرة العربية قبل الهجرة**، الصفحة ٥٤.

٣| عمر فرّوخ ومصطفى خالدي، **التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة**، الصفحة ٣٧.

٤| ويليام فرانكلين بيلي غراهام جونيور (١٩١٨م) يسمّى: واعظ البنتاغون الأمريكيّ.

٥| السيد والي الزاملي، **فتن المسلمين**، الصفحة ١٩.

٦| صاموئيل هنتغتون (١٩٢٧- ٢٠٠٨ م).

٧| صاموئيل هنتنغتون، **صراع الحضارات**، الصفحة ٣٥٢.



و(مصلحيّ)، وهذه هي النظرة العامّة عنه (عربيًّا) و(إسلاميًّا)، والتي تعكس واقع حقيقيّ، رغم عدم خلوّها من المبالغة المغدقة في العداء المبنيّ على أسس غير علميّة في بعض الأحيان.

أمّا النظرة العقلانيّة والإسلاميّة الحقيقيّة؛ فهي تلزمنا بمحاكمة الجهود والآراء وفق قاعدة: (الإنصاف) و(إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه).

نعم، كان من ضمن زمرة المستشرقين من دفعه عداءه لكي يكتب عن الإسـلام، وعن التراث الإسلاميّ، وعن الشخصيّات الإسلاميّة بنفسٍ معادٍ، وبأسلوبٍ مشوّه للحقائق.

كان من ضمن المستشرقين من دفعه (النَفس التبشيريّ) إلى اعتبار الإسلام عدوًّا للمسيحيّة، بل هو – عندهم - ليس بدينٍ أصلًا والواجب محاربته بالقول والسلاح معًا.

وكان فيهم من كان ضمن طلائع الغزو الاستعماريّ الذي استشرى في أرجاء الكرة الأرضيّة في تنافس محموم للبحث عن الثروات من قبل الدول الأوروبيّة وبأيّة وسيلة كانت.

في هذا الوسط بأجمعه، ورغم كلّ ما ذكرنا، فلقد برزت شخصيّات اتخذت نهجًا عقلانيًّا معتدلًا تميّز بالإنصاف والبحث (العلميّ العمليّ) المنصف، الباحث عن الحقيقة وسط ركام التاريخ. تيّار تميّز بأنّه كان يقلّب الصفحات تلو الصفحات حتّى النهاية، لا يتوقّف عند قول ليحكم وفقه، ولا يبحث عن الثغرات ليعتبرها (سُبّة) أو (خللًا)، بل يعتبر ذلك شيئًا واردًا وطبيعيًّا جدًّا.

أطلعت هذه الثلّة على الكمّ الهائل من الكنوز التاريخيّة،

وانبهرت بها، ووجدت بها ما لم تجده ولم تسمع به عند غير شعوب. إنّه كمّ هائل من الأسس المعرفيّة والعلوم التي لم تجتمع في مكان ما أبدًا.

وأجمل ما يمكن أن نضرب به مثالًا هو مطالعة كتاب **مع المخطوطات العربيّة**[١] للمستشرق الروسي (كراتشكوفسكي)[٢]، والذي ذكر فيه (منبهرًا) و(منصفًا) الجهود العلميّة للعلماء (العرب) و(المسلمين) وما قدّموه من علوم لم يسبقهم بها أحد.

والكتاب الآخـر، هو كتاب المستشرقة الألمانيّة (زيغريد هونكه)[٣] الموسوم بـ**شمس العرب تسطع على الغرب**[٤]، والذي توضح فيه ما للعرب والمسلمين من إسهام كبير في التطوّر الحضاريّ عمومًا والتطوّر الحضاريّ في أوروبا بشكلٍ خاصّ.

وبعد كلّ ما تقدّم نقول: للمصلحة والعداوة الدور الأكبر في بلورة أفكار الكثير من المستشرقين ليكتبوا عن الإسلام وفق هذه التأثيرات ويحكموا وفقها. لكن ووسط كلّ هذه الحملة الشعواء نجد أصواتًا منصفة. من المستشرقين. تقول بما تؤمن به، وتتبع الدليل لتحكم وفقه، وتلك الطبقة هي طبقة المنصفين من المستشرقين.

١| كراتشكوفسكي، مع المخطوطات العربيّة، صفحات الذكريات عن الكتب والناس (موسكو: دار التقدّم، الطبعة ٣، ١٩٤٨م).

٢| إغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٣- ١٩٥١م).

٣| زيغريد هونكه (١٩١٣- ١٩٩٩م).

٤| زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربيّة في أوروبا**، نقله عن الألمانيّة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي (بيروت: دار الجيل، الطبعة ٨، ١٩٩٣م).



المستشرقون ودراسة التراث الإسلاميّ

اهتمّ المستشرقون بكلّ ما يتّصل بالشرق، فكانت عنايتهم بدراسة تراث الهند والصين وبابل وآشور ومصر وبلاد فارس، إلّا أنّ اهتمامهم بالتراث العربيّ الإسلاميّ قد فاقت كلّ الاهتمامات الأخرى، في محاولة دؤوبة لاختراق أفق الشرق الفكريّ.

إنّ "الحضارة الإسلاميّة وليدة البعثة النبويّة، وتلك الحضارة مثّلت حضارات اليونان والروم والفرس، وشملت أممًا مختلفة الأمزجة والطبائع، فلم تكن حضارة العرب فحسب، وإنّما كانت حضارة الأمم الإسلاميّة كلّها أو قل هي حضارة العصور الوسطى التي ربطت العالم القديم بالعالم الحديث، ولقد اهتمّ العالم الحديث اهتمامًا خاصًّا بالدور الذي لعبته تلك الحضارة، فأكبّ فريق كبير من علماء الغرب على دراسة تلك الحضارة العظيمة بما فيها من دين سمح كريم، ومن لغة غنيّة بمفرداتها مرنة باشتقاقاتها، جميلة برسم حروفها، ومن أدب يصوّر نبضات القلوب وخلجات النفوس، ونجوى الضمائر، ومن تصوّف وفناء في التأمّل، ومن فلسفة قد بلغت الغاية في عمقها وشمولها، ومن حكم وتشريع لم تصل الإنسانيّة بعد إلى أفضل منه، وقد أذاعوا كثيرًا من دراساتهم في كتب عدّة ومجلّات خاصّة، ثمّ رأوا منذ بداية هذا القرن أن يجمعوا خلاصة بحوثهم في كتاب جامع يتبعون فيه منهج القواميس والمعاجم فكتبوا دائرة المعارف الإسلاميّة باللغات الأوروبيّة الكبرى، حيث أكّدوا ذلك الاهتمام البالغ بالتراث العربيّ الإسلاميّ الخالد، ودوره البناء في تربية



الإنسان المسلم والقضاء على النظام الفكريّ العبوديّ الإقطاعيّ وقفز الفكر الإنسانيّ قفزة محسوسة نقلته من العبوديّة إلى الإنسانيّة وأثرت في الفكر الأوروبيّ بأسره في شتّى ميادين العلوم والآداب والفنون"[١].

ومن دلائل هذا الاهتمام - سلبًا أو إيجابًا - أن ظهرت أوّل مطبعة[٢] عربيّة في مدينة (فانوا) بإيطاليا والتي كانت بأمر من (البابا يوليوس الثاني)[٣]، والتي افتتحها (ليون العاشر) عام (١٥١٤م).

إنّ تحديد وقت بداية الطباعة العربيّة في أوربا هو في الوقت نفسه تحديد لبداية الطباعة العربيّة، لأنّ الطباعة بالحروف العربيّة للكتب العربيّة قد بدأ في أوروبا قبل البلاد العربيّة والإسلاميّة بأكثر من قرن[٤].

فأوّل مطبعة عربيّة في أوروبـا هي تلك التي أمر بإنشائها الكردينال (فرديناندو دي مدتشي)[٥] كبير دوقات توسكانا، وكان يرأس هذه المطبعة والتي مقرّها في روما شابّ إيطاليّ

١| جان بول رو، **الإسلام في الغرب**، الصفحات ١٤٥ - ١٥٢.

٢| إنّ أوّل من اخترع آلة الطباعة هو إمّا (يوحنا جوتنبرغ) في مدينة ماينتس بألمانيا، أو هو (لورنت كوستر) في هارلم بهولندا، إذ إنّ الخلاف شديد حول تحديد من هو الأسبق منهما.

٣| يوليوس الثاني، هو: جوليانو ديلا روفيري (١٤٤٣- ١٥١٣م)، البابا السادس عشر بعد المئتين للكنيسة الكاثوليكيّة من سنة (١٥٠٣ م) وحتّى وفاته، ويعرف باسم (البابا المحارب)، وهو أحد أشهر باباوات عصر النهضة.

٤| يراجع لتفاصيل أكثر كتاب: عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحات ٥٥١ - ٥٦٤، وكتاب تاريخ **حركة الاستشراق** ليوهان فوك.

٥| فرديناندو دي مدتشي (١٥٤٩- ١٦٠٩م).



يدعى (جيوفاني بتستا رايموندي)[١] والذي أقام في المشرق فترة طويلة.

فابتداءً من (٦ سبتمبر ١٥٨٦م)، اشتغلت المطبعة في جمع وطبع أوّل إنتاج لها وهو كتاب **القانون** لابن سينا، ومعه كتاب **النجاة** الذي هو مختصر **الشفاء**. وتمّ إنجاز طبع **القانون** ومعه **النجاة** في عام (١٥٩٣م).

كما وطبع في عام (١٥٩٢م) في هذه المطبعة كتاب **الكافية** لابن الحاجب، وكتاب **الأجروميّة** لابن أجـروم، وكتاب **نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق** للشريف الإدريسي.

وفي عام (١٥٨٨م)، حصلت هذه المطبعة من السلطان العثمانيّ مراد الثالث على امتياز طبع ونشر كتاب **تحرير أصول اقليدس** تأليف الخواجة نصير الدين الطوسي[٢]، وقد تمّ طبع هذا الكتاب في عام (١٥٩٤م).

إلّا أنّ هذه المطبعة قد توقّفت من عام (١٥٩٣م) إلى عام (١٦١٠م) وأرجح ما قيل في تفسير هذا التوقّف هو أنّ طبع هذه الكتب لم يحظَ بالقبول لدى الشرقيّين لرداءة الحروف وقبحها وما فيها من أغلاط.

أوّلًا: المستشرقون والقرآن الكريم

لقد اهتمّت أوروبـا بالقرآن الكريم منذ زمن بعيد، منذ أن

١| جيوفاني بتستا رايموندي (١٥٣٦- ١٦١٤م) عالم رياضيّات ومستشرق إيطاليّ.

٢| الخواجة نصير الدين الطوسي (٥٩٧- ٦٧٢هـ).

بات الإسلام يشكّل خطرًا يهدّد عروش الإمبراطوريّة الرومانيّة وتوابعها، فبدأت الترجمات، والردود، والطعون في هذه الكتب على الدين الإسلاميّ، وعلى شخص النبيّ محمّد (ص). وما قيام الحروب الصليبيّة إلّا للوقوف بوجه الدين الذي هدّد عروش الامبراطوريّة الرومانيّة وحلفائها، وأطاح بصروح الكنيسة، إذ صرّح المستشرق الألمانيّ (كارل بيكر)[١] بذلك فقال: "إنّ هناك عداءً في النصرانيّة للإسلام بسبب أنّ الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدًّا منيعًا في وجه انتشار النصرانيّة، ثمّ امتدّ إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها"[٢].

فوجد - من جرّاء ذلك - تيّار العداء الفجّ والصريح للقرآن الكريم، ومن أنموذجات هذا التيّار (مارثن لوثر)[٣] الذي قال عن **القرآن الكريم**: "أيّ كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن، مليء بالأكاذيب، والخرافات، والفظائع، وإنّ إزعاج محمّد والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرّف المسيحيين عليه"[٤].

لقد تعرّض المستشرقون للقرآن الكريم بالنقد، وإثارة الشبهات، وذلـك بهدف إسقاط دليل سماويّة هذا الكتاب، والطعن بنبوّة النبيّ محمّد (ص)، وبالتالي إسقاط قدسيّتهما في أعين المسلمين وغيرهم.

١| كارل هاينريش بيكر (١٨٦٧- ١٩٣٣ م) ولد في أمستردام. **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ٣٣٧.

٢| الشيخ فؤاد كاظم المقدادي، **الإسلام وشبهات المستشرقين**، الصفحة ١٣١.

٣| مارثن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦م).

٤| رسول جعفريان، **أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنّة، تقديم محمّد عمارة**، الصفحة ١٢.



فأثار (ديفيد صموئيل مرجليوث)[١] شبهة بلاغة الشعر الجاهليّ، وادّعى (كارل فلرس)[٢] و(باول كـراوس)[٣] أنّ القرآن لم يكن معرّبًا، وأنّ اللغويّين هم الذين أعربوه[٤].

وتطرّق المستشرق الفرنسي (كازانوفا)[٥] في كتابه **محمّد ونهاية العالم** إلى أنّ **القرآن** قد أضيف إلى الرسول محمّد (ص) بعد وفاته.

أما المستشرقان (إبرهام جايجر)[٦] و(رودي بارت)[٧] فقد ادّعيا أنّ النبيّ محمّد (ص) قد استقى الكثير من تعاليم **القرآن الكريم** من كتب الأديان السابقة.

لقد ذكر (رودي بارت) أنّ الدعوة التي قام بها النبيّ محمّد (ص) وهذه التصوّرات والأفكار الدينيّة كانت إشعاعات من المسيحيّات واليهوديّات التي كانت موجودة في الجزيرة آنذاك[٨].

وحاول مستشرقون آخرون أن يثبتوا أنّ القرآن تأثّر بالديانات، والكتب، فالمستشرق (ك. آرينز) له بحث جدليّ يحمل عنوان:

١| مستشرق إنكليزيّ (١٨٥٨- ١٩٤٠م).
٢| مستشرق ألمانيّ (١٨٥٧- ١٩٠٩م).
٣| مستشرق ألمانيّ من أصل تشيكوسلوفاكيّ (١٩٠٤- ١٩٤٤م).
٤| أنور الجندي، "مخططات الاستشراق"، مجلّة **منار الإسلام**، العدد ٧، السنة ١٤.
٥| مستشرق فرنسيّ (١٨٦١- ١٩٢٦م).
٦| إبرهام جايجر (١٨١٠- ١٨٧٤ م) له كتاب **ماذا اقتبس محمّد من اليهودية؟** نشر باللغة الألمانيّة في سنة (١٨٣٣ م). يراجع لذلك كتاب: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، الصفحة ١٧٥.
٧| مستشرق ألمانيّ (١٩٠١- ١٩٨٣م) ترجم **القرآن** إلى الألمانيّة مع شرح فيلولوجيّ، له كتاب **محمّد والقرآن**.
٨| رودي بارت، **محمّد والقرآن**، ترجمة: رضوان السيّد، الصفحة ٦٤.



"عناصر نصرانيّة في القرآن"[١] نُشر في المجلة الألمانيّة الشرقيّة (١٩٣٠م)، وكتب (ج. بوستل)[٢] عن "توافق القرآن والإنجيل"، عام ١٥٤٣م، وكتب (أ. بومشتارك)[٣] "مذهب الطبيعة الواحدة النصرانيّ في القرآن"، عام ١٩٥٣م، وكذلك فإنّ للبارون (كرا دي فو)[٤] كتب "أسطورة الراهب المسيحيّ بحيرا"، عام ١٨٩٨م[٥] نشر في مجلة الشرق المسيحيّ، وبحوث أخرى كثيرة بهذا الصدد.

لقد شهدت بدايات القرن العشرين "صرعة – مودة - تقديم القرآن للقارئ الأوروبي باعتباره مختارات من أفكار اليهوديّة والمسيحيّة، بالإضافة لقليل من الزيادات المحدّدة، ومعنى هذا انتفاء الجدّة والأصالة والواقع، إنّ هذه النظرة تعدّ بقيّة من بقايا الدعاية المسيحيّة التي سادت فترة الحروب الصليبيّة، عندما كان على أوروبا الغربيّة التي كانت ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام أن تقوّي دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام، إنّ القرآن لم يكن مجرّد ترديد لأفكار يهوديّة ومسيحيّة، فلقد أكّد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقلّ عن اليهوديّة والمسيحيّة، وثمّة ما يؤكّد أنّ الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في حالة نقائه الأولى"[٦].

نرغب في أن نورد هنا فائدة للباحثين والقرّاء الكرام حول

١| نجيب العقيقي، **المستشرقون**، الجزء ٣، الصفحة ٥٣٧.
٢| ج. بوستل (١٥٠٥- ١٥٨١م).
٣| أ. بومشتارك (١٨٧١م).
٤| كرا دي فو (١٨٦٧- ١٩٥٣م) مستشرق فرنسيّ.
٥| عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٤٦٣.
٦| **أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنّة**، الصفحة ١٦.

طباعة **القرآن الكريم** في أوروبا، وأوّل الطبعات، وما يتعلّق بهذا الموضوع المهمّ[١]:

١- تشير جملة من المصادر التاريخيّة إلى أنّ أوّل طبعة للقرآن الكريم في نصّه العربيّ هي تلك التي تمّت في مدينة (البندقيّة) في سنة (١٥٣٠م) تقريبًا.

٢- طبع توما أربنيوس (سورة **يوسف**) بنصّها العربيّ، مع ثلاث ترجمات لاتينيّة وشروح في ليدن عام (١٦١٧م).

٣- طبع (يوهان زيشندروف) في رسالتين بدون تاريخ، في السورتين (١٠١) و(١٠٣) في الطبعة الأولى له، والسورتين (٦١) و(٧٨) في الطبعة الثانية بحروف عربيّة منحوتة من الخشب.

٤- طبع (كريستانوس رافيوس) في أمستردام السور الثلاثة عشر الأولى من **القرآن** بحروف لاتينيّة، وفي مقابلها ترجمة لاتينيّة عام (١٦٤٦م).

٥- طبع (يوهانس جـورج نسليوس) السورة الرابعة عشر والخامسة عشر بالنصّ العربيّ والحروف العربيّة مع ثلاث ترجمات لاتينيّة في ليدن (١٦٥٥م).

٦- طبع (ماتياس فردريك بكيوس) السورتين (٣٠) و(٨٨) اعتمادًا على أربع مخطوطات عربيّة مع ترجمة لاتينيّة وتعليقات في أوغسبرغ (١٦٨٨م).

١| يراجع لذلك كتاب: عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحات ٤٣٨ - ٤٤٥.

٧- طبع القسّ الألمانيّ (إبرهام هنكلمان)[١] أوّل طبعة كاملة للقرآن وبحروف عربيّة انتشرت ولا يزال توجد نسخ منها في بعض مكتبات أوروبا، وذلك عام (١٦٩٤م) في مدينة هامبورغ الألمانيّة، وتقع في (٥٦٠) صفحة.

٨- طبع (الراهب لودوفيكو مرتشي)[٢] طبعة للقرآن الكريم تعدّ أجود من طبعة (هنكلمان) إذ تمّت الطباعة في مدينة بتافيا عام (١٦٩٨م).

كما وقد طبع مرتشي في عام (١٦٩١م) في مطبعة هيئة نشر الدعوة التابعة للبابا في روما كتابًا بعنوان **الرائد إلى الردّ على القرآن** في أربعة أقسام.

٩- قام (أندرياس أكولوثوس)[٣] بنشر مختارات من القرآن بالعربيّة والفارسيّة والتركيّة واللاتينيّة في برلين عام (١٧٠١م).

١٠- طبعة كاملة للقرآن في نصّه العربيّ تمّت في بطرسبرج عام (١٧٨٧م) في (٤٧٧) صفحة. وقد نشرت برعاية أمبراطورة روسيا (كاترينا)[٤] ليستفيد منها رعاياها المسلمون، وقد أشرف على الطبع (الملا عبّاس إسماعيل).

١١- طبع النصّ العربيّ الكامل للقرآن مرّتين في قازان في عام

١| إبرهام هنكلمان (١٦٥٢- ١٦٩٥م).
٢| لودوفيكو مرتشي (١٦١٢- ١٧٠٠م).
٣| أندرياس أكولوثوس (١٦٤٥- ١٧٠٤م) مستشرق ألمانيّ أستاذ علم اللاهوت، ابن القس يوهانس أكولوثوس المسؤول على كنائس ومدارس بريسلاو بألمانيا.
٤| الأمبراطورة كاترين أو كاترينا وهي (صوفي أوجستا فريدريكا) (١٧٢٩- ١٧٩٦م).



(١٨٠٣م) وقد أشرف على هذه الطبعة (عبد العزيز توقطمش بن علي).

١٢- طبع (غوستاف فلوجل)[١] **القرآن** في ليبتزك عام (١٨٣٤م) والتي تعتبر عمدة الطبعات الأوروبيّة، والمرجع للباحثين في أوروبا، إذ طبعت هذه الطبعة فيما بعد أكثر من مرّة.

ثانيًا: المستشرقون ودراسة السيرة

إنّنا وفي تناولنا لموضوع المستشرقين والسيرة لسنا بصدد أن نكتب عن جهود المستشرقين حول السيرة لنثبت ذكاءهم، وعبقريتهم مثلًا دون غيرهم، ولا لإثبات اتصافهم وبأجمعهم بالموضوعيّة، ولا لإثبات أحقيّة قضيّة ما من خلالهم، ولكن أردنا بذلك إظهار أنّ الكثير من القضايا غير خافية على الباحث، وإنّ الكثير من القضايا واضحة وضوح الشمس رغم إرادة البعض طمسها، وتشويهها، وتحريفها.

لا بدّ أن نعلم أنّ هناك الكثير من كتابات المستشرقين التي اتّسمت بعدم الإنصاف، وبالخصوص في مجال السيرة، فجملة من المستشرقين كانت كتاباتهم لأجل تشويه سيرة النبيّ الأكرم (ص)، وسيرة أهل بيته (ع)، وأجلى مثال لهؤلاء في هذا الصدد هو (هنري لامنس) الذي يعتبر من أكثر المستشرقين حقدًا، ودسًّا على الدين الإسلاميّ، وعلى النبيّ وأهل بيته (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

١| غوستاف ليبرشت فلوجل (١٨٠٢- ١٨٧٠م) مستشرق ألمانيّ، من آثاره **تاريخ العرب** في ثلاثة مجلدات: درسدن وليبتسك، ١٨٣٢، ١٨٣٨، ١٨٤٠م.



وفي هذا الصدد يقول الأستاذ (جـواد علي)[١]: "لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف، والموضوع في بعض الأحيان، وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذّ، والغريب فقدّموه على المعروف، والمشهور"[٢].

نعم، إنّهم قد هوّلوا، وكذّبوا، واخترعوا الأباطيل، لكنّهم وفي أكثر الأحيان، وعند مناقشتهم لقضيّةٍ ما لم ينطلقوا من فراغ، بل إنّهم اعتمدوا في ذلك على ما وجدوه في كتب التراث التاريخيّ، والحديثيّ السنّيّ بما فيها من الخزعبلات، والوضع، والدس، والحقد، والتحريف.

فنحن إن أردنا من الآخر أن يتّسم بالموضوعيّة التامّة، والحياديّة المطلقة عند قراءة تراثنا فعلينا أوّل الأمر أن نخلص هذا التراث من كلّ ما علّق به من مدخولات، وموضوعات، وتحريفات، وتصريفات، فما ذكرته كتب الصحاح الستّ، وكتب التاريخ من تشويهٍ متعمّد لشخصيّة النبيّ (ص)، ولأهل بيته (ع) قد أسّسها مخالفو النصّ الشرعيّ، والذي أسّس على إثره معاوية بن أبي سفيان منظومته التحريفيّة الكبرى، والتي سار عليه سلاطين بني أميّة، وكل من جاء بعدهم، وإلى الوقت الحاضر.

"كان محور محاولات المستشرقين في تناول السيرة النبويّة هو إسقاط هذا الثقل في واقع المسلمين منضمًّا إلى الثقل الأوّل وهو **القرآن الكريم**، وبذلك ينهار البناء الإسلاميّ بكلّ أبعاده الفكريّة والسياسيّة. ومن أجل ذلك، راحوا يتتبعون مفردات

١| جواد علي (١٩٠٧- ١٩٨٧م).

٢| جواد علي، **تاريخ العرب في الإسلام**، الجزء ١، الصفحات ٨ - ١١.





التاريخ الإسلاميّ لاستقصاء موارد الشذوذ ومواطن التزوير في السيرة النبويّة، التي أحدثها وعّاظ السلاطين ومرتزقة الحكّام المنحرفين، كخلفاء بني أميّة وخلفاء بني العبّاس، وتسليط الضوء عليها وإظهارها على أنّها السيرة الفعليّة للرسول (ص) وأهل بيته (ع) ثمّ يبدأ استثمار ذلك عند تأسيس بحث نقديّ لشخصيّة الرسول (ص) لتحقيق هدفين: الأوّل: إبراز تهافت وتناقض في سيرته وصولًا لنفي نبوّته وعالميّته، وتقرير أنّه ليس إلّا رجل إصلاح قوميّ استثمر النصرانيّة واليهوديّة وأمثالها وأضاف إليها من عنده لتنسجم مع مجتمعه وظرفه الزمانيّ والمكانيّ. والثاني: وصم السنّة النبويّة بالاختلاق والوضع، ومن ثمّ الدعوة إلى عدم حجّيتها كمصدر أساسيّ من مصادر التشريع في الإسـلام، ولم تكن هذه المعطيات جزافًا، بل هي إفراز طبيعيّ للصراع المحتدم بين الإسلام والصليبيّة، وقد كان للنتائج التي تمخّضت عنها الحروب الصليبيّة طعم العلقم في حلوق الأوروبيين لا ينسونه أبدًا"[١].

إنّ مجمل الآراء غير الموضوعيّة التي تبنّاها المستشرقون كان أساسها - كما أسلفنا - إمّا التحريفات الموجودة في التراث الحديثيّ السنّي، وإمّا مبتنّيات تراث العصور الوسطى الصليبيّ، وإمّا كتابات المستشرقين الأوائل ذات الطابع الأيديولوجيّ، والتبشيريّ، والاستعماريّ. مضافًا لها غايات وأحقاد ذات دوافع مبيّتة.

١ | فؤاد كاظم المقدادي، **الإسلام وشبهات المستشرقين**، الصفحتان ١٤٥ و١٤٦.



ثالثًا: المستشرقون والتشيّع

لقد حظي التراث الشيعيّ باهتمام المستشرقين إمّا كفرقة، أو كحدث تاريخيّ فقد كتبت العديد من الكتابات حول موضوع الشيعة، وما يتعلّق بهم، وهي بحقّ دراسات كثيرة[١] حتّى قال عنها الدكتور عبد الجبّار الناجي في كتابه **التشيّع والاستشراق:** "لم يدر في خلدي في بداية الأمر حين شمّرت عن ساعدي، وجمعت أدوات بحثي، ومعدّاته لأرسم مخطّطًا لمفرداته الدقيقة، بأن تكون إسهامات المستشرقين عن التشيّع، وعن سير أهل البيت بمثل هذه الكثافة، والتركيز نوعًا، وكمًا..."[٢].

لكن ما يميّز هذا النتاج وبشكل عامّ أنّه اتّسم بعدم الإنصاف، وعدم الدقّة وعدم الموضوعيّة بالتعامل البشريّ مع الحوادث والنصوص، ذلك بسبب اعتمادهم على التراث الحديثيّ السنّيّ الذي سيطرت عليه الأيديولوجيا السلطويّة الحاكمة[٣] بما حوته من مرويّات موضوعة، وأحاديث، وقصص محرّفة، فكانت هذه الروايات المنطلق لجملة من المستشرقين الذين فرحوا بها، وأصبحت محرّكًا لهم للطعن، والتشويه حجّتهم في ذلك أنّها من داخل المنظومة الإسلاميّة، فتمسّكوا بها، بل وزادوا عليها بحسب ما يخدم مصالحهم وأهوائهم.

نعم، إنّهم وبدراستهم لمذهب التشيّع كان هدفهم إبراز الهوّة

١| بغضّ النظر عن محتواها وأهدافها.

٢| عبد الجبّار الناجي، **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ١١.

٣| كالأيديولوجيا الأمويّة، وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان واضع أسس مدرسة الدسّ والتزوير والوضع والتحريف.



العميقة بين الفرق الإسلاميّة، وزيادة الشرخ الموجود بالأساس؛ لأنّ ذلك يخدم سياستهم الاستعماريّة. لكنّ بعضهم درس مذهب التشيّع بعد أن تيقّن بأنّ هذه الفرقة الإسلاميّة قد تمّ إقصاءها عن عمد، "إنّ هذا النفر منهم قد وصل إلى نتيجة مفادها ضرورة إقصاء المؤلّفات السنيّة لكلّ من يريد التدوين التاريخيّ عن العقيدة الشيعيّة..."[١].

وعلى كلّ حال، فإنّ المؤلّفات الاستشراقيّة لم تنصف الشيعة، ولم تكتب عنهم بمنهج علميّ خالٍ من الأهواء، أو الميول، أو المؤثّرات.

ونحن نقول وبكلّ ثقة: إنّه لا يوجد أيّ مؤَلَّف استشراقيّ يخلو من الملاحظات، والمغالطات عن مذهب التشيّع، وعن سيرة أهل البيت (ع).

في الوقت الذي يرفض أغلب المسلمين (سنّة وشيعة) مناهج أغلب[٢] المستشرقين، وبالخصوص – طبعًا - الطاعنة في الدين الإسلاميّ (عقيدة وشريعة)، ويرفض الشيعة - على وجه الخصوص - كثيرًا من الانتقادات التي وجّهها المستشرقون إلى المذهب الشيعيّ - بحجّة أو حقيقة - أنّ أغلب هذه الانتقادات جاءت من اعتمادهم على المصادر السنّيّة فقط في فهم وقراءة الفكر الشيعي.

فمثلًا: في قضيّة الغدير، حيث إنّ الرسول الأكرم (ص) قد نصّ على أنّ خليفته في المسلمين من بعده هو عليّ بن أبي طالب

١| عبد الجبّار الناجي، **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ١٧.
٢| الأغلب وليس الكلّ.

(ع) يوم غدير خمّ. رغم ذلك نجد أنّ (مارجليوث)[1] في كتاب **محمّد وظهور الإسلام ١٩٠٥م** يستبعد مثل هذه التوصية. كما ونجد (بروكلمان)[2] في كتاب **تاريخ المسلمين ١٩٣٩م** يجري على نفس المنوال. وكذلك (جولدتسيهر)[3] الذي أورد رواية غدير خمّ بصيغة التشكيك.

يمكن اعتبار القرن الثاني عشر الميلادي[4] - تقريبًا - بداية معرفة أوروبـا[5] بالمذهب الشيعيّ كعقيدة وتنظيم سياسيّ وذلك بالتزامن مع الحملات الصليبيّة زمن (الدولة الفاطميّة)[6]، إلّا أنّ الأخبار عن الشيعة صيغت بكثير من الخلط، والتعميم، وعدم الفهم العامّ، مع وجود التأثير الأيديولوجيّ السياسيّ على طبيعة تلك الكتابات.

فمثلًا نجد أنّ (وليم الصوري)[7] والذي يعتبر أهمّ مؤرّخي الحملات الصليبيّة في القرن الـ(١٢م) قد نسب إلى الشيعة الاعتقاد بأنّ عليًّا هو نبيّ الإسلام الحقيقيّ، لولا أنّ الملاك

١| ديفيد صمويل مارجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م) مستشرق إنكليزيّ، عمل قسًّا في كنيسة إنكلترا، ثمّ أستاذًا لتدريس اللغة العربيّة في جامعة أكسفورد.

٢| كارل بروكلمان (١٨٦٨- ١٩٥٦م).

٣| أجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠- ١٩٢١م) مستشرق يهوديّ مجريّ.

٤| بحسب بعض ما ورد من نظريّة تاريخيّة حول ذلك.

٥| أو العالم الغربيّ كما يحلو للبعض تسمية ذلك.

٦| الدولة الفاطميّة، أو الخلافة الفاطميّة، أو الدولة العبيديّة، هي إحدى دول الخلافة الإسلاميّة، والوحيدة بين دول الخلافة التي اتخذت المذهب الشيعيّ (الإسماعيليّ) مذهبًا رسميًّا لها، تأسّست سنة (٩٠٩م) وانتهت سنة (١١٧١م).

٧| وليم الصوري (١١٣٠-١١٨٥م) مؤرّخ صليبيّ، رئيس أساقفة (صور) و(القدس)، مستشار الملك (بلدوين الرابع) ملك مملكة بيت المقدس الصليبيّة، ولد في بيت المقدس من أسرة ذات أصول فرنسيّة أو إيطاليّة.

جبرائيل أخطأ وأوصل الرسالة إلى محمّد[١].

وسار على هذا النهج (يعقوب دي فيتري)[٢] الذي تسلّم منصب مطران عكّا فيما بين (١٢١٦- ١٢٢٨م) والذي روّج فيما كتبه من كتابات إلى: أنّ عليًّا كان نبيًّا مرموقًا تكلّم إليه اللّه كتقدير تمييزيّ عن النبيّ محمّد[٣].

وكذلك ما روّجه المنصِّر الشهير (ريكولدو ديمونتو كروس)[٤] بأنّ الشيعة يعتقدون بأنّ محمّدًا اغتصب حقوق عليّ. واعتبر (ريكولدو) أنّ أتباع عليّ يحتفظون بقدر من اللطف وأنّهم أقلّ شيطنة من الأغلبية السنيّة[٥]. وكذلك أمثال دعوات (ريكولدو) المعادية الكثير، فقد تزامنت مع دعوات كثيرة على هذه الشاكلة المعادية للإسلام، نذكر من ذلك على سبيل المثال دعوات (رايمون لول)[٦] و(بطرس بسكوال)[٧].

١| كان سبب تأكيده على هذا الادّعاء هو وجوده في الكتب السنيّة التي أخذوا منها بدون تحليل أو تمحيص، علمًا أنّ إثارة مثل هكذا مسائل (تفريقيّة) تفيد المستعمر الذي رفع شعاره المشهور (فرق تسد) وفق منهج (تلفيقيّ) بكلّ معنى الكلمة.

٢| يعقوب دي فيتري (١١٧٠- ١٢٤٠ م) مؤرّخ وقسّ ولاهوتيّ كنسيّ فرنسيّ الأصل.

٣| راجع: عاطف معتمد عبد الحميد، **الشيعة في المشرق الإسلاميّ تثوير المذهب وتفكيك الخريطة.**

٤| ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣-١٣٢٠م) راهب دومنيكيّ إيطاليّ ومبشّر شديد الخصومة على الإسلام، له كتاب **تفنيد آيات القرآن.**

٥|

٦| رايمون لول أو باللفظ الخاصّ الصحيح (رايموندوس لولوس) (١٢٣٠-١٣١٥م) فيلسوف كتالونيّ، انضمّ إلى رهبنة الفرنسسكان، انكبّ على دراسة اللغة العربيّة والثقافة الإسلاميّة قاصدًا من وراء ذلك دعوة المسلمين إلى المسيحيّة، له كتاب **الفنّ الأكبر** الذي حاول فيه أن يدافع عن المسيحيّة ضدّ الإسلام، وانتقد فيه فلسفة ابن رشد.

٧| بطرس بسكوال (١٢٢٧-١٣٠٠م) لاهوتيّ إسبانيّ، له كتاب **الفرقة المحمّديّة.**



كما ونجد جملة من المستشرقين والكتاب الغربيّين يعتبرون أنّ الأفكار الشيعيّة وبالخصوص بعض الفرق المحسوبة على الشيعة[١] انتحالًا للأفكار الوثنيّة الإغريقيّة والفارسيّة القديمة.

لقد قدم الدبلوماسيّ الفرنسيّ (جوزيف آرثر غوبينو)[٢]، الذي خدم كدبلوماسيّ فرنسيّ في طهران بين (١٨٥٥)و(١٨٥٨م)- معلومات جديدة للغرب ليس فقط عن الانشقاق السنيّ الشيعيّ - كما صوّره هو، بل عن الاتجاهين الرئيسيّين بين علماء فارس: (الإخباريّين) و(الأصوليّين) أي منظومتي (النقل والعقل)، وهي فروقات أرجعها لأسباب اجتماعيّة قبل أن تكون دينيّة بحسب مدعاه.

كما وقد كتب (الفرد فون كريمر)[٣] في عام (١٨٦٨م) عن التعصّب المفرط للشيعة وعدم تحمّلهم لغيرهم من أتباع الطائفة المحمّديّة.

وكتب (كرا دي فو) بعد ثلاثين سنة من تاريخ كتابة **كريمر** أنّ الشيعة لديهم تفكير ليبراليّ حرّ، ويكافحون في مواجهة العقليّة

١| الفرق المغالية، والمهرطقة.

٢| جوزيف آرثر دي غوبينو (١٨١٦- ١٨٨٢م) أديب وديبلوماسيّ فرنسيّ. اشتهر ببحوثه ودراساته حول الشرق، حيث جمع بين الشعر والصحابة والرواية والفلسفة، وأبرز نتاجاته الفكريّة **التفاوت بين الأجناس البشريّة** والذي تأثّر به أصحاب نظريّة العنصريّة الجرمانيّة، وله روايات ومذكّرات عديدة منها: **الثريا وقصص آسيويّة وجدّة وعدن ومسقط ثلاث سنوات في آسيا ١٨٥٥-١٨٥٨م** ترجمة: مسعود سعيد عمشوش. أقام في إيران مدّة خمس سنوات وكان مسؤولًا في السفارة الفرنسيّة بمدينة طهران.

٣| ألفرد فون كريمر (١٨٢٨-١٨٨٩م) مستشرق نمساويّ، ألمانيّ الجنسيّة، كان قنصلًا في مصر وبيروت.





السنيّة المتحجّرة ضيقة الأفق، وأنّ العزلة التي يعيشها الشيعة تنبع من خوفهم من الاحتكاك بالآخر نتيجة نجاسته.

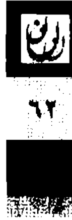
كما ونجد الإدارة البريطانيّة وفي سبيل تدعيم مكانتها الاستعماريّة في الهند، قامت في (كلكتا) بنشر كتاب **شريعة محمّد- ١٨٠٥م**. وجاء هذا الكتاب عن مصادر شهيرة للشيعة الاثني عشريّة، وأهمّ ما اعتمد عليه هذا العمل كتاب **تحرير الأحكام الشرعيّة على مذهب الإماميّة** وكتاب **إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان** للعلامة الحلّي[١]. وقد قام باختيار النصوص الضابط الإنكليزيّ (جون بيلي) الأستاذ في الشريعة الإسلاميّة واللغة العربيّة والفارسيّة، وقد سعى (بيلي) إلى نشر عدد واسع من الأسس الشرعيّة للشيعة الإماميّة. وفيما بعد، نشرت دراسات مقارنة بين الشريعة لدى المذهب الحنفيّ والاثني عشريّ. ولم يكن الأخير سوى مختارات من كتاب **تحرير الأحكام** المتعلّقة بأمور الزواج والطلاق والرقّ والهبات والعطايا والوقف والمواريث. كما وتمّت ترجمة كتاب **حياة القلوب** من الفارسيّة إلى الإنكليزيّة، وهو كتاب يتناول سيرة النبيّ الأكرم (ص) كتبه العلّامة الشيخ المجلسي[٢].

الإمام عليّ (ع) في دراسات المستشرقين

نقف هنا عند جملة من الدراسات الاستشراقيّة التي تناولت سيرة حياة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) وبشكل

١ | الحسن بن يوسف بن المطّهر الحلّي المعروف بالعلّامة الحلّي (٦٤٨-٧٢٦هـ).

٢ | محمّد باقر المجلسي (١٠٣٧-١١١١هـ).



إجماليّ، وبحسب ما استطعنا تتبّعه وتحصيله ممّا وقع في أيدينا من كتب، ويمكن أن نذكر وبشكل مختصر هذه الدراسات والتي منها:

١- ما أورده المستشرق الألمانيّ (أوغست موللر)[١]في كتابه **الإسلام في العصور الوسطى** المطبوع في برلين عام (١٨٨٥م)[٢].

و(أوغست موللر) هو ابن الشاعر الألمانيّ الكبير (ويلهم موللر)، وخرّيج جامعات (ليبزك)، و(فيين) في اللغات الشرقيّة، الكتب الكثيرة والمقالات المختلفة في مجال التاريخ الإسلاميّ، ويعدّ كتاب **الإسلام في الشرق والغرب** واحدًا من أهمّ مؤلّفاته، فهو في الواقع عبارة عن تتمّة لعمل (نولدكه).

٢- كتابات المستشرق الألمانيّ (غوستاف فايل)[٣] والتي منها:

أ. كتابه **تاريخ الخلفاء** الذي يقع في ثلاثة أجزاء، والذي طبع في منهايم (١٨٤٦- ١٨٥١م)[٤].

ب. كتاب **تاريخ شعوب الإسلام** طبع في ألمانيا، في شتوتغارت عام (١٨٦٦م).

ج. كما وقد كتب كتابًا تحت عنوان **النبيّ محمّد حياته**

١| أوغست موللر (١٨٤٨- ١٨٩٢ م). راجع: **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحات ٢٤٨ - ٢٥٠.

٢| عبد الجبّار الناجي، **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٤٧.

٣| غوستاف فايل (١٨٠٨- ١٨٨٩م) مستشرق ألمانيّ، يهوديّ الديانة.

٤| يوهان فوك، **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ١٧٧.



ومذهبه[١]، شتوتجرات عام (١٨٤٣م) يقع في (٤٥٠) صفحة، كان قد اعتمد على سيرة ابن هشام والسيرة الحلبيّة في تأليفه[٢].

٣- المستشرق (فون كريمر)[٣] في دراسته المتعلّقة بتاريخ الفرق أو (البدع في الإسـلام) المطبوع في لايبزك عام (١٨٦٨م).

٤- كتابات المستشرق الألمانيّ (يوليوس فلهاوزن)[٤] والتي منها:

أ- **أحزاب المعارضة الدينيّة السياسيّة في صدر الإسلام**، طبعت الطبعة الأولى في برلين عام (١٩٠٣م)[٥]. طبعته العربيّة عام (١٩٧٦م)، ترجمة: عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات).

ب. **تاريخ الدولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة** أو (الدولة العربيّة وسقوطها)[٦]، طُبعت الطبعة الأولى في برلين عام (١٩٠٢م).

طبعته العربيّة كانت عام (١٩٥٨م)، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة.

ج. كتاب **أصول الشيعة**، طُبعت الطبعة الأولى في برلين

١| أو **حياة محمّد**. يوهان فوك، **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ١٧٦.
٢| عبد الرحمن البدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحتان ٣٩٠ و٣٩١.
٣| ألفرد فون كريمر (١٨٢٨- ١٨٨٩م) مستشرق نمساويّ.
٤| يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤- ١٩١٨م).
٥| عبد الرحمن البدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٤٠٩.
٦| المصدر نفسه، الصفحة ٤٠٩.

عام (١٨٩٩م).

٥- كتابات المستشرق المجري (أجانتس جولدتسيهر)[1] والتي منها:

أ. دراسته عن تاريخ أدب الجدل الشيعيّ السنيّ المنشور عام (١٨٧٤م).

ب. دراسته حول (مذهب التقية في الإسلام) المنشور في مجلة (ZDMG) عام (١٩٠٦م).

ج. كتابه **العقيدة والشريعة في الإسلام** الذي ترجم إلى الفرنسيّة والعربيّة، وطُبعت طبعته الأولى عام (١٩٢٠م).

٦- كتابات المستشرق والقسّ المسيحيّ (هنري لامنس)[2] والتي منها:

أ. كتابه **دراسات عن حكم معاوية الأوّل** بيروت (١٩٠٧ م)[3].

ب. كتابه **فاطمة وبنات محمّد، تعليقات نقديّة لدراسة السيرة**، روما، (١٩١٢ م)[4].

٧- دراسة المستشرق السويدي (سنوك هورجرونجيه)[5]

١| أجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠- ١٩٢١م) مستشرق يهوديّ مجريّ.
٢| هنري لامنس (١٨٦٢- ١٩٣٧م) راهب مسيحيّ بلجيكيّ الأصل، فرنسيّ الجنسيّة.
٣| **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٥٠٤.
٤| **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٥٠٤.
٥| سنوك هورجرونجيه أو هرخرونية (١٨٥٧- ١٩٣٦م).



الموسومة بـ(المحمّديّة) والمنشور في أمريكا عام (١٩١٦م)[١].

٨- دراسة المستشرق الألمانيّ (نولدكه)[٢] الموسومة بـ(التشيّع) المنشورة في مجلّة (Der Islam) عام (١٩٢٣م).

٩- دراسة المستشرق (ألسير توماس ارنولد)[٣] التي تحمل عنوان (الخلافة) المطبوعة في أكسفورد عام (١٩٢٤م)، والذي طبع بالعربيّة، ترجمة: حسن حيدر الشيباني (بغداد: مطبعة التضامن، ١٩٦١م).

١٠- دراسات المستشرق (السير وليم موير)[٤] والتي منها:

أ. دراسته التي تحمل عنوان **الخلافة: ظهورها وتدهورها ثمّ سقوطها** المطبوعة طبعة ثانية عام (١٨٩١م)[٥].

ب. دراسته التي تحمل عنوان **حياة محمّد وتاريخ الإسلام**، في أربعة مجلّدات، لندن (١٨٥٦ - ١٨٦١م)[٦].

١١- دراسة المستشرق الإيطاليّ (ليوني كيتاني)[٧]الموسومة بـ**حوليّات الإسلام**)[٨] المطبوعة في ميلانو عام (١٩٠٥م).

١| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٤٩.
٢| تيودور نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣١م) شيخ المستشرقين الألمان.
٣| توماس أرنولد (١٨٦٤- ١٩٣٠م).
٤| وليم موير (١٨١٩- ١٩٠٥م) مستشرق ومبشّر وموظّف إداريّ إنكليزيّ.
٥| **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٥٧٨.
٦| المصدر نفسه، الصفحة ٥٧٨، و**تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ١٨٢.
٧| ليون كيتاني (١٨٦٩- ١٩٣٥ م). **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ٣١١.
٨| **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٤٩٣.





١٢- المستشرق والقسّ المسيحيّ (كانون سيل)[١] في عدّة دراسات منها:

أ. دراسته حول **الأئمّة الاثني عشر** التي طبعها في (مدراس) عندما كان يقوم بالأعمال التبشيريّة في الهند عام (١٩٢٣م)[٢].

ب. دراسته المعنونة **تبجيل أو تقديس عليّ** والتي نشرت في مجلّة الأدب المسيحيّ في الهند عام (١٩١٠م).

١٣- المستشرق الإنكليزي (ديفيد صاموئيل مارجليوث)[٣]في عدّة دراسات منها:

أ. دراسة عن **محمّد وظهور الإسلام** الذي ألّفه عام (١٩٠٥م)[٤].

ب. كتاب **التطوّر الباكر للإسلام** طبع عام (١٩١٤م)[٥].

١٤- المستشرق والقسّ المسيحيّ (بلير) في دراسته عن **أصول الإسلام** والتي طبعها في (مدراس) في الهند عام (١٩٢٥م)[٦].

١٥- المستشرق الألمانيّ (مادولنك) في كتابه عن **رسول الله**

١| كانون سيل (١٨٣٩- ١٩٣٢).
٢| التشيّع والاستشراق، الصفحة ٣٥٢.
٣| ديفيد صاموئيل مارجليوث (١٨٥٨- ١٩٤٠م).
٤| **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٥٤٦، و**تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ٢٨٩.
٥| **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ٢٨٩.
٦| موقع نهج البلاغة.



والخلفاء الراشدين من بعده[١].

١٦- كتابات المستشرق الإنكليزي (دوايت دونالدسون)[٢] والتي منها:

أ. كتاب **عقيدة الشيعة في الإمامة** نشره عام (١٩٣١م).

ب. بعد ذلك نشر كتاب **المذهب الشيعيّ**، أو **عقيدة الشيعة**، أو **الديانة الشيعيّة** والذي طبع في لندن عام (١٩٣٣م)[٣].

١٧- المستشرق الألمانيّ (رودلف شتروسمان)[٤] في كتابه **الشيعة الاثني عشريّة** المطبوع في لايبزك (١٩٢٦م)[٥] باللغة الألمانيّة. كما وكتب رودلف شتروسمان عدّة بحوث حول التشيّع في دائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة: محمّد ثابت أفندي، طبعة (قم - إيران).

١٨- المستشرق الألمانيّ (بروناو) في كتابه **الخوارج** والذي طبع في ليدن عام (١٨٨٤م)[٦].

١٩- دراسات المستشرقة الإيطاليّة (لورة فيسيا فاغليري)[٧] والتي منها:

١| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٥٢.

٢| دوايت دونالدسون (١٨٨٤- ١٩٥٨م).

٣| نجيب العقيقي، **المستشرقون**، الجزء ٢، الصفحة ٩٤.

٤| رودلف شتروسمان (١٨٧٧- ١٩٦٠م) مستشرق ولاهوتيّ إلمانيّ.

٥| عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٣٤.

٦| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٥٤.

٧| لورا فيسيا فاجليري (١٨٩٣- ١٩٨٩م).



أ. دراستها حول **صراع الإمام مع الخوارج وظهور الخوارج الإباضيّة** والتي نشرتها عام (١٩٥٢م)[١].

ب. بحثها **عليّ بن أبي طالب** المنشور في دائرة المعارف الإسلاميّة (الطبعة الجديدة).

ج. دراستها حول **نهج البلاغة** المنشور في (الدراسات الشرقيّة) بنابولي عام (١٩٥٨م)[٢].

والمستشرقة الإيطاليّة (لورة فيسيا فاغليري)[٣] هي أستاذة في جامعة (نوبل) في إيطاليا في قسم تاريخ الإسلام، عرفت في الدولة الإسلاميّة بشكل أساسيّ عبر كتاب **تاريخ إسلام كمبردج** كتب الجزء الأوّل منه عن خلافة الأمويّين، وكتب كلّ من (مونتغمري وات) و(سورول) الأقسام الأخرى له.

٢٠- المستشرق الإيطاليّ (جورجيو ليفي ديلافيدا)[٤] الموسومة بـ(الخليفة علي) اعتمادًا على كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، والذي نشره في مجلّة (RSO) عام (١٩١٤م)[٥].

٢١- دراسات المستشرق الدنماركيّ (إيلرلنغ ليدوك بيترسن) والتي منها:

١| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٥٥.

٢| يحيى مراد، **معجم أسماء المستشرقين**، الصفحة ٨١٩.

٣| لورة أو لورا فيسيا فالييري أو فاغليري (١٨٩٣- ١٩٨٩م) مستشرقة إيطاليّة، اهتمّت بالتاريخ الإسلاميّ وبفقه اللغة العربيّة وآدابها.

٤| جورجيو ليفي ديلافيدا أو دلافيدا (١٨٨٦- ١٩٦٧م) له: فهرس المخطوطات العربيّة الإسلاميّة في مكتبة الفاتيكان.

٥| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٥٦.



أ- دراسته الموسومة بـ: **عليّ ومعاوية: دراسة في نشأة ونموّ الكتابة التاريخيّة الإسلاميّة حتّى نهاية القرن الثالث الهجريّ / التاسع الميلاديّ**، ترجمة: عبد الجبّار ناجي (إيران- قم: مطبعة الاعتماد، ٢٠٠٨م).

ب- دراسته **عليّ ومعاوية: منذ ظهور الخلافة الأمويّة.**

ج- دراسته **دراسات في التدوين التاريخيّ عن النزاع** بين عليّ ومعاوية والتي نشرها في مجلة (Act Orientalia) عام (١٩٦٣م)[١].

٢٢- كتاب المستشرق الدنماركيّ (بوهل)[٢] (Buhl) الموسوم **عليّ والخلافة** عام (١٩٢١م)[٣].

٢٣- دراسة المستشرق (سراسين) (Sarasin) الموسومة **عليّ في التدوين التاريخيّ السنّيّ** والتي نشرت في بازيل عام (١٩٠٧م)[٤].

٢٤- دراسة المستشرق الإنكليزي (غي لسترنج)[٥] في كتابه **بلدان الخلافة الشرقيّة** والمطبوع في كامبردج عام (١٩٠٥م).

١| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٥٧.

٢| فرانتس بوهل (١٨٥٠- ١٩٣٢م) له: **جغرافيّة فلسطين القديمة وحياة محمّد.**

٣| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٥٨.

٤| المصدر نفسه، الصفحة ٣٦٠.

٥| غي لسترنج (١٨٥٤. ١٩٣٣)، ولد في هنستن هيل في إنكلترا سنة (١٨٥٤م)، وتوفّي في كمبردج سنة (١٩٣٣م)، له العديد من الترجمات والمؤلّفات المشهورة منها: **بلدان الخلافة الشرقيّة، فلسطين في عهد الإسلام، بغداد في الخلافة العباسيّة**، وغيرها.



٢٥- المستشرق الفرنسيّ (أوبين) في كتابه **التشيّع والقوميّة الفارسيّة** المنشور عام (١٩٠٨م)[١].

٢٦- المستشرق الفرنسيّ (لاوست) والذي كتب بحثًا عام (١٩٦٢م) عن "مكانة أو دور عليّ في السيرة الشيعية"[٢].

٢٧- المستشرق الإنكليزيّ (رايس) في دراسته حول **الإمام عليّ في الرواية الشيعيّة** والذي نشره في مجلّة العالم الإسلاميّ عام (١٩١٤م)[٣].

٢٨- المستشرق الإسرائيليّ (جوزيف الياش) وأطروحته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة (١٩٦٦م) المعنونة **عليّ بن أبي طالب في المذهب أو العقيدة الاثني عشريّة**[٤].

٢٩- ألّف المستشرق الألمانيّ (هاينز هالم)[٥] كتابًا تحت عنوان **الشيعة** طبع سنة (١٩٨٨م). قامت دار الوراق بطباعته سنة (٢٠١١م) ترجمة (محمود كبيبو).

٣٠- كتاب **تاريخ الشعوب الإسلاميّة**[٦] للمستشرق الألمانيّ (كارل بروكلمان)[٧]، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير

١| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٦٦.

٢| المصدر نفسه، الصفحة ٣٦٧.

٣| المصدر نفسه، الصفحة ٣٧١.

٤| المصدر نفسه، الصفحة ٣٧١.

٥| هاينز هالم (١٩٤٢م) مستشرق ألمانيّ درّس العلوم الإسلاميّة والساميّة والعصور الوسطى.

٦| أو تاريخ الشعوب والدول الإسلاميّة. عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ١٠٤.

٧| كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦م) مستشرق ومؤرّخ وأديب ألمانيّ، كان كثير



البعلبكي (لبنان- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٣م).

٣١- ما كتبه الفيلسوف، والشاعر الألماني (غوته)[١] فقد وضع نشيدًا على صورة مقطوعات يتناوب على إنشاده (الإمام عليّ)، والسيّدة (فاطمة الزهراء) في توضيح مكانة النبيّ محمّد (ص)[٢].

وعن تأثّره بالإسلام، ننقل مقولته المشهورة: "إذا كان الإسلام يعني الاستسلام للّه، فإنّنا جميعًا نعيش، ونموت على الإسلام"[٣].

٣٢- كتاب **الشيعة** للمستشرق الإنكليزيّ (د. فيلوت)[٤]، والذي صدر عام (١٩١١م)، وكان (فيلوت) عقيدًا في الجيش الإنكليزيّ.

٣٣- كتاب **محمّد وخلفاؤه** للمستشرق الأمريكيّ (واشنطن إيرفنج)[٥].

٣٤- كتاب **سطوع نجم الشيعة** للمستشرق الألمانيّ (جرهارد كونسلمان)، ترجمة: محمّد أبو رحمة (مصر- القاهرة: مكتبة مدبولي، الطبعة ٣، ٢٠٠٤م).

٣٥- كتاب **سلمان الفارسي والبواكير الروحيّة في إيران**

الأخطاء في كتاباته يحذو بذلك حذو أستاذه (نولدكه).

١| يوهان فون غوته (١٧٤٩- ١٨٣٢م) أديب وسياسيّ ألمانيّ ولد في فرانكفورت، وتوفّي في مدينة فايمار.

٢| غوته، مجموعة مقالات، الصفحة ٩٢.

٣| المصدر نفسه، الصفحة ٢٤٨.

٤| د. فيلوت (١٨٦٠ - ١٩٣٠م).

٥| واشنطن إيرفنج (١٧٨٣ - ١٨٥٩م).

للمستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون)[١]، ترجمة: عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٨م).

٣٦- كتاب **تاريخ الدولة الإسلاميّة وتشريعاتها** للمستشرقة البولونيّة (يوجينا غيانة شتيسفسكا)[٢] (لبنان- بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة، ١٩٦٦م).

٣٧- كتاب **الإسلام الشيعيّ** للمستشرق الفرنسي (يان ريشار)، ترجمة: حافظ الجمالي (لبنان- بيروت: دار عطيّة، ١٩٩٦م).

٣٨- كتاب **الخلافة، انحدارها، سقوطها** للمستشرق الإنكليزي (ميور)[٣].

٣٩- كتاب **العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام** للمستشرق الإنكليزيّ (أنتوني ناتنج)[٤]، ترجمة: راشد البراوي (مصر: القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م).

٤٠- كتاب **محمّد المثل الأعلى** للمستشرق الإنكليزي (توماس كارليل)[٥]، ترجمة: محمّد السباعي (لبنان- بيروت المكتبة الأهليّة، الطبعة ٢).

١| لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢ م).

٢| يوجينا غيانة شتيسفسكا: باحثة بولونيّة معاصرة، درست الإسلام في الأزهر على يد أساتذة ومشرفين أخصائيّين زهاء خمس سنوات (١٩٦١- ١٩٦٥م). تمكّنت خلالها من اللغة العربيّة كذلك، وكانت قد أنهت دراستها في كليّة الحقوق، وفي معهد اللغات الشرقيّة في بولونيا.

٣| وليم ميور (١٨١٩- ١٩٠٥م) له **حياة محمّد والخلافة الإسلاميّة المبكرة**، تولّى جامعة إدنبرة.

٤| أنتوني ناتنج (١٩٢٠- ١٩٩٩م) كان يشغل منصب وزير الدولة للشؤون الخارجيّة في الحكومة البريطانيّة، استقال عشيّة العدوان الثلاثيّ على مصر.

٥| توماس كارليل (١٧٩٥- ١٨٨١م) صاحب كتاب **الأبطال**.



٤١- كتاب **حياة محمّد الرسول** للمستشرق الإنكليزي (رونالد فكتور بودلي)[١]، ترجمة: عبد الحميد جودة السحّار ومحمّد فرج (مصر- القاهرة: ١٩٦٤م).

٤٢- كتاب **الإسلام والعرب** للمستشرق الإنكليزيّ (روم لاندو)[٢]، ترجمة: منير البعلبكي (لبنان- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢م).

٤٢- كتاب **محمّد رسول الله** للمستشرق الفرنسيّ (آيتين دينيه)[٣]، ترجمة: عبد الحليم محمود (مصر: مطبعة دار الكتاب، الطبعة ٣، ١٩٥٩م).

٤٣- المستشرق (أبتان كوهلبرغ) في دراسته عن **رؤية الغرب للتشيّع**[٤].

٤٤- المستشرق (مارشال هودجسون) في عدّة دراسات منها:

أ- كتاب **مغامرة الإسلام، الوعي والتاريخ في حضارة عالميّة** المطبوع في شيكاغو عام (١٩٧٤م)[٥] في ثلاثة مجلدات.

ب- مقال "كيف تطوّر التشيّع إلى مذهب؟" والذي نشر في مجلّة **الاجتهاد اللبنانيّة** (العددان **٢٦ - ٢٧**) لعام (١٩٩٣م).

١| الكولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي (١٨٩٢- ١٩٧٠م) ضابط وكاتب وصحفيّ ومستشرق إنكليزيّ.

٢| روم لاندو (١٨٩٩- ١٩٧٤م).

٣| آيتين دينيه (١٨٦١- ١٩٢٩م).

٤| **التشيّع والاستشراق**، الصفحة ٣٦٤.

٥| المصدر نفسه، الصفحة ٣٦٤.

٤٥- خلافة محمّد: بحث حـول الخلافة في وقـت مبكر للمستشرق الألمانيّ (ولفرد مادلونج)[1].

٤٦- كتابات المستشرق الفرنسيّ (هنري كوربان) والتي منها:

أ- **الشيعة الاثنا عشريّة**، ترجمة: ذوقان قرقوط (مصر: مكتبة مدبولي).

ب- **تاريخ الفلسفة الإسلاميّة**، هنري كوربان، راجعه وقدّم له: السيّد موسى الصدر (لبنان- بيروت: دار عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠٤م).

هذا الكتاب قدّم له السيّد موسى الصدر بتاريخ (حزيران / ١٩٦٦ م)، ونشر في مجلّة **العرفان**، المجلد **٥٤**، وفي مجلّة **منبر ومحراب** بتاريخ (٣١. ٨. ١٩٨١م).

ج- الإمام الثاني عشر: في الإسلام الإيرانيّ، مشاهد روحيّة وفلسفيّة، ترجمة: نوّاف محمود الموسوي (لبنان- بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٧م).

٤٧- كتبت الكاتبة والمستشرقة الأمريكيّة جوان كول بالإسهام مع الأستاذة الأمريكيّة (نيكي كيدي) كتابًا بعنوان **الشيعة والمعارف الاجتماعيّة** ونشر هذا الكتاب في عام (١٩٨٦م).

٤٨- ألّف الكاتب الأمريكيّ بنولت ديفيد كتابًا بعنوان **الشيعة** أصدره عام (١٩٩٣م).

١ | ولفرد مادلونج (١٩٣٠م).



٤٩- كتب المستشرق الروسيّ إيفانوف[١] عن الحركات الشيعيّة المبكرة ونشر سنة (١٩٣٩م).

٥٠- كتب المستشرق الأرجنتينيّ لويس البيرتو فيتور دراسة نقديّة قيّمة عن **الإسلام الشيعيّ** نشر عام (٢٠٠٦م).

٥١- كتاب المستشرق الهولندي (يعقوب جوليوس)[٢]، وهو **شذرات الأدب من كلام العرب** في عام (١٦٢٩م) دون أن يذكر اسمه على الكتاب ويشتمل على نصوص مختارة، ومضبوطة بالشكل الكامل، منها (١٦٥) قولًا للإمام عليّ بن أبي طالب (ع)[٣].

٥٢- المستشرق الهولندي (جيراردیوس كويبرس)، من أعلام القرن الثامن عشر الميلادي، كان معنيًّا بآثار الإمام عليّ بن أبي طالب (ع)[٤]، وقد صدر له:

أ- ديوان الإمام عليّ بشروح لاتينيّة، ليدن عام (١٧٤٥م).

ب ـ **غرر الحكم ودرر الكلم**، ليدن عام (١٧٧٤م).

٥٣- المستشرق الألماني (هاينرش لايبرش فلايشر)[٥]، ترجم كتاب **مطلوب كلّ طالب في كلام عليّ بن أبي طالب**، مئة حكمة ومثل بالعربيّة والفارسية، متنًا وترجمة وتعليقًا عام (١٨٣٧م)[٦].

١| إيفانوف (١٨٨٦- ١٩٧٠م) مستشرق روسيّ، مهتمّ بالعقيدة الإسماعيليّة.

٢| يعقوب أو جاكوب جوليوس أو خوليوس (١٥٩٦ - ١٦٦٧م)

٣| العقيقي، **المستشرقون**، الجزء ٢، الصفحة ٣٠٤.

٤| مجلة **الموسم**، المجلّدان ٧١ و٧٢.

٥| هاينرش فلايشر (١٨٠١ ـ ١٨٨٨م).

٦| مجلة **الموسم**، المجلّدان ٧١ و٧٢.

٥٤- المستشرق البروتستانتي الهولنديّ (كورنيليوس فان فينين)[١]، له **حكم علي بن أبي طالب** باللغة اللاتينيّة، وهو يشتمل على أربع رسائل: نثر اللآلئ في الحكم والأمثال من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مختارات من كتاب غرر الحكم ودرر الكلم الذي جمعه عبد الواحد من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبعض الأمثال التي جمعها أبو الفضل الميدانيّ النيسابوري من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بعض الأمثال التي ذكرها المفضل بن سلمة الضبي ورفعها الميدانيّ إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، طبع هذا الكتاب مع ترجمته اللاتينيّة وتقييدات وشروح في أوكسونيا (عام ١٨٠٦م)[٢].

٥٥- المستشرق الألمانيّ (يوهان غوستاف شتيكل)[٣]، وهو لاهوتي ألمانيّ له: **أمثال علي** متنًا عربيًّا وترجمة فارسيّة، طبع في فيينا (عام ١٨٣٤م)[٤].

المستشرقون ونهج البلاغة مدخل عامّ

إنّ البحث في نتاجات المستشرقين التي اهتمّت بالتراث الإسلاميّ يعدّ من الأبحاث الصعبة وذلك لعدّة أسباب منها:

١| كورنيليوس فان فينين (١٧٣٢ - ١٨٠٦م).
٢| مجلة **الموسم**، المجلّدان ٧١ و٧٢.
٣| يوهان غوستاف شتيكل (١٨٠٥ - ١٨٩٦م).
٤| العقيقي، **المستشرقون**، الجزء ٢، الصفحة ٣٦٥.

١- تعدّد لغات المستشرقين، إذ إنّ دراساتهم لم تكتب بلغة أجنبيّة واحدة.

٢- الكمّ الهائل ممّا كتبوه، وألّفوه، وحقّقوه حول التراث الإسلاميّ، مضافًا لها بحوث ومقالات كتبت في مجلّات وصحف ودوريّات مختلفة وكثيرة لا يمكن الوقوف على إحصائيّات دقيقة لها.

٣- كثرة المستشرقين ممّا لا يمكن لأحد الإحاطة بعددهم، بل إنّ الموجود مجرّد إحصائيّات أوّليّة وليس أكثر.

٤- عدم ترجمة جميع التراث الاستشراقيّ المعروف، بل إنّ ما ترجم منه إلى اللغة العربيّة قد لا يتجاوز العُشر على أحسن التقادير[1].

٥- عدم وجود منهجيّة معيّنة خاصّة للتعامل مع الكتابات الاستشراقيّة القديمة والحديثة، إذ لا يوجد تخصّص في البلاد الإسلاميّة يعنى بالاستشراق ولا توجد معاهد تهتمّ بذلك، على عكس الدول الأوروبيّة التي كانت ولا زالت تحتفظ بمعاهد خاصّة وكراسي خاصّة لدراسة التراث الإسلاميّ وكلّ ما يتعلّق به، بل إنّهم يولّونه أهميّة كبيرة جدًّا.

لا يخفى الاهتمام الذي أولي لدراسة شخصيّة النبيّ محمّد (ص) من قبل المستشرقين، وبالخصوص كونه (ص) شخصيّة أنهت هيمنة وتفرّد الديانة المسيحيّة على المنطقة، والتي دامت

١| ((راجع كتاب: الدكتور عبد الجبّار الناجي، **التشيّع والاستشراق**.

قرونًا. بل إنّها الشخصيّة التي أطاحت بحصون كبرى للمسيحيّة في البلاد العربيّة، وسحبت من تحت يدها جميع الأراضي التي كانت قد هيمنت عليها في بلاد العرب.

يقول المستشرق (مونتغمري وات)[١] بهذا الصدد: "ليس بين رجال العالم رجل كثر شانئوه كمحمّد...فلقد كان الإسلام خلال قرون عدّة العدوّ الأكبر للمسيحيّة... وأخذت الدعاية الكبرى في القرون الوسطى تعمل على إقرار فكرة "العدوّ الأكبر" في الأذهان، حتّى ولو كانت تلك الدعاية خالية من كلّ موضوعيّة... حتّى إذا ما حلّ القرن الحادي عشر كان للأفكار الخرافيّة... في أذهان الصليبيّين أثر يؤسف له..."[٢].

كلّ ذلك أثار حفيظة الكنيسة لتتجه نحو التعرّف على كلّ شيء عن ذلك الشخص الذي فعل بها ما فعل، وكذلك لتعرف خصوصيّاته، وأقرب المقرّبين له من أقارب وأصحاب. فكان الاهتمام في أوروبا منصبًّا على دراسة سيرته (ص) وسيرة أهل بيته (ع)، فكانت المطاعن نفس المطاعن، والانتقادات نفس الانتقادات من جانب، والمديح نفس المديح، والانبهار نفس الانبهار من جانب آخر.

إنّ الشخصيّة الثانية من شخصيّات أهل بيت النبيّ (ص) التي خضعت للدراسة؛ هي شخصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع)،

١| مونتغمري وات: اسكتلندي الأصل، أمريكي الجنسية، من رجال اللاهوت المسيحي، له: (عوامل أنتشار الإسـلام) و(محمد في مكة) و(محمد في المدينة) و(محمد النبي ورجل الدولة).

٢| مونتغمري وات، **محمّد في المدينة**، الصفحة ٤٩٣.



فقد تناول دراسة سيرة حياته جملة من المستشرقين بكلّ تفاصيلها سواء من خلال المؤلّفات الشيعيّة المشهورة، أو من خلال كتب التاريخ السنيّة.

نعم، إنّ جملة من المستشرقين قد أخذوا ما كتب من طعن وتشويه في شخصيّة الإمام عليّ (ع) في كتب العامّة أخذ المسلّمات بلا أدنى تحليل، أو مقارنة نصوص، وذلك إمّا لجهلٍ أو لتعمّدٍ في ذلك.

ثمّ كان لكتاب **نهج البلاغة** الذي احتوى على خطب ورسائل وكلمات الإمام عليّ (ع)، والذي جمعه الشريف الرضيّ، اهتمامًا خاصًّا به، كونه سفر بلاغيّ عظيم، وكونه يحتوي على أحاديث وحوادث وردت على لسان الإمام عليّ (ع) وقضايا لم تكن معروفة من قبل أن تعرّض لها أمير المؤمنين (ع)، وأخبار وإخبارات أوقفت عقول كلّ من يقرأها، ممّا أثار في داخل البعض - المعادي والحاسد والحاقد - أن يطعن بها جهلًا وعدوانًا.

دراسات المستشرقين لنهج البلاغة

أوّلًا: المشكّكون به

إنّ المستشرقين جاءوا إلى الشرق وحدانًا وزرافـات، واستفادوا من علومه ومعارفه وكنوزه، لكنّهم لم يذكروا ذلك الفضل الكبير عليهم، ولم يشيروا إلى واهب ذلك الفضل لهم.

يقول الشيخ النائيني[1]: "فإنّ المطّلعين على تاريخ العالم يعلمون بأنّ الأمم المسيحيّة والأوروبيّة لم يكن لها قبل الحروب الصليبيّة أيّ نصيب من العلم والمدنيّة والنظم السياسيّة... فأخذوا الأصـول الإسلاميّة في حقلي التمدّن والسياسة من الكتاب، والسنّة، ومن خطب ومواقف أمير المؤمنين (ع) وبقيّة المعصومين. وقد اعترفوا بذلك في تواريخهم السابقة منصفين... وأعلنوا أنّ جميع ما حصلوا عليه من الرقيّ والتقدّم، وما وصل إليه المسلمون في أقلّ من نصف قرن، كان نتيجة للالتزام بتلك المبادئ واتباعها إن حسن ممارسة الأوروبيين لهذه المبادئ، وجودة استنباطهم واستخراجهم لها، وبالمقابل السير القهقرائيّ للمسلمين ووقوعهم تحت نير الاستعباد المذلّ، وتحوّلهم إلى أسرى بأيدي طواغيت الأمّة المعرضين عن الكتاب

١ | الشيخ الميرزا محمّد حسين النائيني (١٢٧٣- ١٣٥٥هـ).

والسنّة هو الذي آل بأمر الطرفين إلى ما نشاهده اليوم، حتّى نسي المسلمون تلك المبادئ، وأخذوا يظنّون أنّ تمكين النفوس لتلك العبوديّة، وذلك الاسترقاق هو من وحي الإسلام، واستنتجوا أنّ هذا الدين ينفي التمدّن والعدالة اللذين يمثّلان أساس الرقيّ، وحسبوا أنّ الإسلام يخالف العقل، وأنّه أساس الانحطاط والتخلّف"[١].

على الرغم من اعتراف بعض مفكّري أوروبا بتأثير التراث الحضاريّ العربيّ الإسلاميّ على الحضارة الغربيّة، إلّا أنّه ساد اتجاه ناكر ومتنكّر لهذه الحقيقة التاريخيّة، من خلال السعي نحو طمسها، أو التقليل من شأنها، وقد دعم هذا الاتجاه حركة الاستعمار الأوروبّي للعالمين العربيّ والإسلاميّ، مؤكّدًا عجز العرب والمسلمين عن الابتكار والإبداع، والإسهام في ركب الحضارة الإنسانيّة، الأمر الذي يجعل من (التغريب) والدعوات التغريبيّة أمرًا ضروريًّا من أجل مواكبة تطوّرات العصر الحديث.

فتبجّح الغرب أنّ مرجعيّته الفكريّة هي يونانيّة، ورومانيّة، وأنّ النهضة والإصلاح في أوروبا والعالم الغربيّ قد انطلقت من خلال الارتباط المرجعيّ بالتراث اليونانيّ والرومانيّ ما هو إلّا أوّل الكلام، فمن أين جاء اليونان والرومان بمظاهر حضارتهم، وكيف طوّروها، وما هو أساسها؟

الجواب هو الجواب[٢] وكما تقدّم من أنّ الفضل يعود للحضارات

١| النائيني، **تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة**، الصفحة ٩٤.

٢| لقد انقسم المفكّرون في جوابهم عن مرجعيّة الفكر الحضاريّ إلى أربعة اتجاهات هي: (الاتجاه الأوّل): المذهب الإنكاريّ: الذي أنكر إمكانيّة تحديد





البابليّة والمصريّة وما شاكلها في تطوّر وتمدّن الغرب المتمثّل في ذلك الوقت بالحضارتين اليونانيّة والرومانيّة.

ولا بدّ أن نعلم "أنّ الحقيقة التاريخيّة هي أنّ روّاد الحداثة الأوروبيّة ظلّوا ينظّرون منذ القرن الثاني عشر الميلاديّ إلى القرن الثامن عشر إلى التراث العربيّ الإسلاميّ بالاعتبار والانبهار نفسيهما اللذين ننظر بهما نحن اليوم إلى منجزات الحداثة الأوروبيّة ومفاهيمها وشعاراتها"[١].

إنّ المتتبّع لتاريخ حركة الإصلاح[٢]، وعصر النهضة، وعصر الأنوار يلحظ وبما لا يقبل الشكّ الدور الكبير الذي لعبته ترجمات الكتب والمؤلّفات العربيّة إلى اللاتينيّة في تأسيس فكرة الإصلاح ونشرها.

ومن أبرز هذه الكتب التي كان لها الأثر الكبير في تطوّر حركة الإصلاح وانتعاش فكر النهضة، ورواج حركة التأليف، والكتابة، وغيرها هو **القرآن الكريم**، فلقد كان لترجمة معاني **القرآن الكريم** إلى اللاتينيّة ثمّ إلى اللغات الأخرى الأثر في تطوّر حركة التأليف، ورواج المؤلّفات، واستقطاب معانٍ جديدة لم

مكان وزمان لنشوء الحضارة. (الاتجاه الثاني): القائل بأصالة الغرب القديم المتمثّل باليونان وما يشاكلها. (الاتجاه الثالث): القائل بأصالة الشرق المتمثّل بحضارات بابل ومصر وما شاكلها. (الاتجاه الرابع): القائل بالتوفيق، معتبرًا أنّ الجميع "من شرق وغرب" قد ساهم في بناء الفكر، والحضارة، والمعرفة.

١| محمّد عابد الجابري، **في نقد الحاجة إلى الإصلاح**، الصفحة ٦٢.

٢| حركة الإصلاح الدينيّ: وارئدها ومنظّرها الراهب الألمانيّ (مارتن لوثر) (١٤٨٣- ١٥٤٦م) فقد طرح آراء جديدة من أجل إصلاح وتحسين شرعيّة السيّد المسيح، وقد أكّد على فكرة أنّ (كلّ شخص هو قسّيس نفسه)، وترجم الإنجيل إلى الألمانيّة، وطرح آراء اخرى.



تكن أوروبا، ولا العالم الغربيّ يعرفها قبل ذلك، مع العلم أنّ الترجمة[١] كانت بهدف التعرّف إلى الإسلام، ومن ثمّ معرفة كيفيّة مقاومته من خلال التعرّف على أهمّ مصدر للتشريع فيه إلّا وهو **القرآن الكريم**[٢].

يقول المستشرق (سوذرن)[٣]: "إنّ كُتّاب اللاتين بين عام ١١٠٠ وعام ١١٤٠ الذين أخذوا على عاتقهم توضيح صورة الإسلام لدى الناس العامّين، ركّزوا في اهتمامهم على الرسول محمّد دون اعتبار للدقّة، فأطلقوا العنان لـ"جهل الخيال المنتصر" إذ وصفوا النبيّ محمّد بأنّه كان ساحرًا هدم الكنيسة في أفريقيا وفي الشرق وأباح الاتصالات الجنسيّة"[٤].

كما يقول المستشرق (اليوس شبرنجر)[٥] في كتابه **حياة محمّد وتعاليمه** عن عمر بن الخطّاب: "هو المؤسّس الحقيقيّ للدولة الإسلاميّة - وفي نظري أنّ عمر أسمى من النبيّ في كلّ ناحية - فهو خلوّ من كلّ أنواع الضعف والتساهل التي وصمت أخلاق الأخير، وكان رجلًا مملوءًا بالجدّ والعزم الرجوليّين... في أثناء حياة النبيّ، أدّى من الخدمات لانتصار الإسلام، بل ولطهارة

١| أي الترجمات الأولى للقرآن الكريم.

٢| يراجع لذلك: كتاب **الأدوات المعرفيّة**، للمؤلف، الصفحات ١٢٢- ١٣٨، موضوع: الشرق والغرب والسبق الحضاريّ.

٣| ريتشارد وليم سوذرن، صاحب كتاب: **صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى**.

٤| جوزف شاخت وكليفورد بوزرث، **تراث الإسلام**، ترجمة محمّد زهير السمهودي وحسين مؤنس واحسان صدقي العمد، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٥، سلسلة عالم المعرفة، العدد٨، الجزء ١، الصفحة ٣٤.

٥| أليوس شبرنجر (١٨١٣- ١٨٩٣ م) مستشرق نمساويّ الأصل إنكليزيّ الجنسيّة.

تعاليمه، أكثر من محمّد هو نفسه، وقد صان معلّمه]النبيّ [من الوقوع في أخطاء فاحشة بفضل إقدامه الحازم. وكان لعقله الفائق تأثير على نفسيّة محمّد الضعيفة الهستيريّة"[١].

إنّ دعوات التشكيك التي انطلقت من قبل ثلّة من المستشرقين كان أساس بنائها الاعتماد على (التراث السُنّيّ) الذي كُتب على يد وعّاظ السلاطين من المعادين لمدرسة أهل البيت :والذين لم يتسمّوا بالنفس العلميّ، بل قد دفعتهم أحقادهم إلى مثل هكذا ادّعاءات ثبتوها في صفحات التاريخ لتكون مرتعًا خصبًا للمتصيّدين في الماء العكر.

فهذه الدعوات كانت تسرّ أعداء الإسلام، وقد عبّر عنها - على سبيل المثال - الشاعر (دانتي)[٢] والذي أظهر ما في نفسه علنًا، عاكسًا بذلك توجّه الكنيسة وموقفها الحقيقيّ من الدين الإسلاميّ، ومن النبيّ محمّد (ص) وأهل بيته:

"إذا كان خطّ الاستشراق هو الآخر من هذا النمط من التحيّز واضحًا جدًّا، فذلك نظرًا لاستناده إلى تاريخ الغَلب...ما يدعو الباحث العربيّ المعاصر إلى الكثير من التسامي فوق هذا النمط المخجل من الفهم والكتابة التاريخيّة"[٣].

وهذا يدعونا – بحقّ - إلى البحث عن المؤرّخ الحقيقيّ لنمّيزه عن المؤرّخ (الحروفيّ). فنقف عند كلام مهمّ للأستاذ عبّاس

١| عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، الصفحة ٣١.

٢| دانتي ألغييري (١٢٦٥- ١٣٢١م) ولد بفلورنسا في إيطاليا، كان متأثّرًا بكتابات توما الأكويني.

٣| إدريس هاني، **المذهب الجعفريّ في منظار خصومه**، الصفحة ١٩.





محمود العقّاد[١] بهذا الصدد يقول فيه: "ونحسب أنّ محنة التاريخ هنا أصعب من كلّ محنة؛ لأنّ المؤرّخ هنا يعمل عملين، ولا يستقلّ بعمل واحد: يعمل لمعرفة الحقيقة، ويعمل لاستخلاصها من بين الأباطيل التي تحجبها عن عمد وتدبير. وواحد من هذين العملين كثير على مؤرّخي الورق والحروف"[٢].

فهل من العقل أو من الإنصاف تصديق قول الخصم بحقّ خصمه، والأخذ بقول العدوّ في عدوّه، ومن ثمّ البناء عليه، واعتباره قضيّة تتهافت قبالها باقي القضايا؟!

"لقد عاش المسلمون في حالة حرب مع عالم لم يكن يدين بمعتقدهم، وأبى الاعتراف بسيادتهم سرًّا كان أو علانية. لكنّ الكنيسة المسيحيّة شعرت بوجود تهديد شديد لها نتيجة الانتصارات الساحقة التي حقّقها الخصوم. فبيزنطة فقدت في القرن السابع مستعمراتها في آسيا وشمال إفريقيا باستثناء آسيا الصغرى على يد العرب، ثمّ اضطرت إلى التخلّي عن آسيا الصغرى للسلاجقة في القرن التاسع بعد معارك كانت فيها الحرب سجالًا بين الجانبين. وبسقوط صقلية فقدت السيادة على البحر... وفي الغرب، فتح العرب والبربر معظم إسبانيا ولم يبقَ منها سوى شمالها الغربيّ. ومن هذه النقطة، شُنّت حروب الاسترداد "ريكونكويستا"...لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقيّ خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربيّة. فكلّما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائيّ بقوّة السلاح، بدا واضحًا أنّ

١| عبّاس محمود العقّاد (١٨٨٩- ١٩٦٤م).

٢| عبّاس محمود العقّاد، **فاطمة والفاطميّون**، الصفحة ٧٦.



احتلال البقاع المقدّسة لم يؤدِّ إلى ثني المسلمين عن دينهم، بقدر ما أدّى إلى عكس ذلك، وهو تأثّر المقاتلين الصليبيّين بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم في حلبات الفكر..."[1].

وهنا، سنقف عند جملة من أقوال المشكّكين بنهج البلاغة، مستعرضين أقوالهم بالنقد والتحليل، ومن هؤلاء المستشرقين:

١- المستشرق (هوار):

أورد أحمد أمين المصري[2] رأي المستشرق (كليمان هوار) [3] الذي أورد تشكيكًا في **نهج البلاغة**[4] وفي نسبته إلى الإمام علي (ع)، مع العلم أنّ (هوار) له تشكيكات أخرى في **القرآن الكريم**[5] وفي (الدين الإسلامي) وفي (نبوّة نبيّ الإسلام) مضافًا لتشكيكه بالتراث الحديثيّ كما ينقل ذلك أحمد أمين.

إنّ هذه التشكيكات التي أوردها (أحمد أمين) نقلًا عن المستشرق المدعوّ (هوار) فهي إن صدرت بالفعل من هذا المستشرق فما هي إلّا تشكيكات مبنيّة على أقوال المشكّكين في **نهج البلاغة** والذين أوردنا أسمائهم في أوّل هذا الكتاب، مضيفين أنّ كلّ هذه

١| يوهان فوك، **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحات ١٥. ١٧.
٢| أحمد أمين، هو: أحمد أمين إبراهيم (١٨٨٦- ١٩٥٤م).
٣| كليمان هوار]هوارت[(١٨٥٤- ١٩٢٦م) مستشرق فرنسيّ متخصّص باللغات الشرقيّة، له كتاب **خطط بغداد** ألّفه سنة (١٩٠١م) وترجمه الأستاذ ناجي معروف سنة (١٩٦١م).
٤| أحمد أمين المصري، **فجر الإسلام**، الصفحة ١٤٩.
٥| إذ يقول في فصل طويل نشر في المجلة الآسيويّة عام (١٩٠٤م)، أنّه قد اكتشف مصدرًا جديدًا من مصادر القرآن الكريم هو شعر أميّة بن أبي الصلت وأنّ الرسول قد استعان به في نظم **القرآن الكريم**.





التشعّبات لكلّ التشكيكات مرجعها للمشكّك الأوّل في **نهج البلاغة** ألا وهو (ابن خلكان) هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فإن لم تكن التشكيكات المنسوبة لـ(هوار) قد صدرت منه فهي يقينًا من صنع (أحمد امين) أوردها بأسلوب التفافيّ وبشكل ماكر ليورد طعونه وتشكيكاته في **نهج البلاغة**، وذلك ليس بالغريب عليه، إذ إنّ له تشكيكات وادّعاءات كثيرة، بل أكثر من أن يحصيها بحثنا هذا. ولقد تصدّى لردّ تشكيكات وتخرّصات أحمد أمين علماء ومفكّرون وكُتّاب يطول ذكر عددهم، إلّا أنّنا نكتفي بذكر جملة من أبرزهم كـ: الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء[١]، والشيخ محمّد أمين زين الدين[٢]، والشيخ أحمد الوائلي[٣].

يقول الأستاذ (حامد حفني داوود)[٤] عن أحمد أمين وعن أسلوبه، وعن ما نقله من تشكيكات: "...يشكّ أحمد أمين ويتبع هوى هوار وصلاح الصفدي دون تمحيص ومتابعة ودراسة للقرائن التاريخيّة. أمّا قول أحمد أمين بأنّ السجع في **نهج البلاغة** ينفي النسبة إلى الإمام عليّ لأنّ السجع لم يكن موجودًا في عصره، فهو قول يملأ النفس شعورًا بالخجل حينما يصدر من أستاذ جامعيّ. وكأنّ أحمد أمين لا يفرّق بين السجع المطبوع الذي عرف منذ العصر الجاهليّ في أساليب العربيّة وجاء في القرآن وبعض الأحاديث، والسجع المصنوع الذي ظهر في

١| آية الله العظمى الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء (١٢٩٤- ١٣٧٣هـ).

٢| آية الله العظمى الشيخ محمّد أمين زين الدين (١٣٣٣- ١٤١٩هـ).

٣| الخطيب الشيخ أحمد الوائلي (١٩٢٨- ٢٠٠٣م).

٤| حامد حفني داوود (١٩١٨م).

أساليب كتاب ديوان **المقتدر** ثمّ صار صناعة لها قدرها في القرن الرابع على يد أبي الفضل بن العميد. فسجع الإمام علي في **نهج البلاغة** إنّما هو من النوع المطبوع ولو لم يكن السجع المطبوع موجودًا في الجاهليّة وصدر الإسلام لما قال جدّنا صلوات اللّه عليه للصحابي الشاعر عبد اللّه بن رواحه "إيّاك والسجع يا ابن رواحه" والنهي عن الشيء دليل على وجوده وكم لأحمد أمين من أخطاء أخجلتنا أمام رجال المذاهب الإسلاميّة باعتبارنا من تلاميذه. ولعلّه أخجلنا كثيرًا باعتباره أستاذًا من بين أساتذتنا الأوائل في جامعة القاهرة: حين زعم أنّ الأساليب المنطقيّة المبثوثة في تراكيبه ليست من جنس أسلوب الإمام عليّ. وكأنّ المنطق الإنسانيّ من صنع أرسطو طاليس. لقد ظلم الإمام بل وظلم أرسطو وظلم الفلسفة اليونانيّة بهذا الزعم. إنّ أرسطو طاليس لم يصنع للمنطق إلّا مصطلحاته"[١].

٢- المستشرق الألمانيّ (كارل بروكلمان):

هنا نقف عند ما أثاره المستشرق الألمانيّ (كارل بروكلمان) والذي يتحدّث عن أدب الإمام علي (ع) الموجود في كتاب **نهج البلاغة** ويعبّر عنه بأنّه: (أدب علويّ منحول)[٢].

نقول: إنّ كلام (بروكلمان) قائم على ركيزتين رئيسيّتين تتبعهما غاية مبيّتة لذلك.

١| حامد حفني داوود، **نظرات في الكتب الخالدة**، الصفحتان ١٧٨ و١٧٩.

٢| كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجّار، الجزء ١، الصفحة ٢٤٥، وكذلك في الجزء ٢، الصفحة ٦٤، والجزء ٢، الصفحة ٣٨١.



الركيزتان اللذان يعتمد عليهما (بروكلمان) في كلامه المتقدّم وغيره هما:

١- اعتماده على تراث أبناء العامّة فقط، والذي فيه طعن كبير بكلّ ما يتعلّق بأهل البيت، وبالخصوص الإمام علي (ع)، فإنّ للشبهات والتشكيكات التي أثارها (ابن خلكان) على سبيل المثال وغيره وقعها وأثرها الذي يسيل له لعاب أمثال (بروكلمان) وما عليه إلّا أن يوقد عود الثقاب إذ إنّ (الحطب صالح للاشتعال).

٢- اعتماده على خلفيّة استشراقيّة وكنسيّة وصليبيّة لها عدائها الجليّ والواضح للإسلام والمسلمين كدين وجماعات، فكيف إذا كان أمير المؤمنين(ع) وهو الحامي والمدافع عن الإسلام، إذ قام الإسلام بسيفه.

أمّا الغاية المبيّتة لأمثال (بروكلمان) فهي؛ الطعن بالإسلام وبكلّ وسيلة ممكنة، وهنا يمكن أن نورد مقولة لأحد كبار الشخصيّات الألمانيّة والتي يقول فيها مادحًا معاوية بن أبي سفيان: "ينبغي لنا أن نُقيم تمثالًا من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا برلين. فقال له: لماذا؟ قال: لأنّه هو الذي حوّل نظام الحكم الإسلاميّ عن قاعدته الديمقراطيّة إلى عصبيّة، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كلّه. إذن لكنّا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا عربًا مسلمين"[١].

يقول الكاتب الفلسطيني (شوقي أبو خليل)[٢] عن كارل

١| محمود أبو ريّة، **شيخ المضيرة**، الصفحة ١٨٥.

٢| شوقي أبو خليل (١٩٤١- ٢٠١٠م) كاتب فلسطينيّ.

بروكلمان موضحًا طريقته وأسلوبه في الكتابة عن التاريخ وعن موضوع الأدب العربي: "فكيف ببروكلمان، وقد كتب تاريخنا منطلقًا من التشكيك، والرفض العشوائيّ، معتمدًا على الروايات الضعيفة الشاذّة، والتي رفضها النقّاد الباحثون، واستغربها العلماء المطلعون، بل وأشاروا إلى نشوزها، لكن بروكلمان - كغيره من المستشرقين الذين قدّموا ما يرضي رجال الكنيسة ولم يكتبوا حقائق تثيرهم - بنى فكره ورأيه مسبقًا في نفسه، ثمّ جاء إلى وقائع التاريخ العربيّ الإسلاميّ يطوّعها لما يؤيّد فكرته وخطّته المرسومة، يطمس، ويضعف، ويمرض ما دون ذلك، فقدّم بروكلمان تاريخنا موسّعًا الجزئيّة متغاضيًا عن الكليّة، مع تفسيرات عجيبة، ومواقف غريبة، وأقوال ينبئ عنها الذوق السليم، والفكر الموضوعيّ، لا العميق والشامل، بل وحتّى غير العميق، وغير الشامل"[1].

لقد انتهج بروكلمان منهجًا معاديًا للإسلام، طاعنًا بالنبيّ محمّد (ص) وبالقرآن الكريم، إذ يقول: "وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمّد على أساس القرآن وحده طبعًا، وليست المسألة مسألة نظام مرتّب، إذ لم تكن الدقّة والتماسك الفكريّ أقوى جوانبه...ولم يكن عالمه الفكريّ من إبداعه الخاصّ إلّا إلى حدّ صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهوديّة والنصرانيّة، فكيّفه محمّد تكييفًا بارعًا وفقًا لحاجات شعبه الدينيّة"[2].

١| شوقي أبو خليل، **كارل بروكلمان في الميزان**، الصفحتان ١١ و١٢.
٢| كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلاميّة**، الصفحة ٦٨ و٦٩.

٣- المستشرق الفرنسيّ (ديمومبين):

لقد أورد الأستاذ والكاتب المصريّ (زكي مبارك) عن المستشرق الفرنسيّ (ديمومبين)[١] الذي أشرف على أطروحته الجامعيّة (النثر الفنيّ في القرن الرابع) بمرحلة الدكتوراه في جامعة باريس، فقد أراد (ديمومبين) أن يقلّل من قيمة كتاب **نهج البلاغة** مستندًا إلى ما شاع من أنّ الشريف الرضيّ هو الواضع لكتاب **نهج البلاغة**.

يقول (زكي مبارك): "وقد أراد المسيو ديمومبين أن يغضّ من قيمة ما نسب إلى عليّ بن أبي طالب من خطب ورسائل، استنادًا إلى ما شاع منذ أزمان من أنّ الشريف الرضيّ هو واضع كتاب **نهج البلاغة**، **أمّا** نحن فنتحفّظ في هذه المسألة كلّ التحفّظ؛ لأنّ الجاحظ يحدثنا: إنّ خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات. ومعنى هذا أنّ خطب عليّ كانت معروفة قبل الشريف الرضيّ. والذين نسبوا نهج البلاغة إلى الرضيّ يحتجّون بأنّه وضعها لأغراض شيعيّة، فلم لا نقول من جانبنا بأنّ تهمة الوضع جاءت لتأييد خصوم الحملات الشيعيّة؟"[٢].

إنّ شبهة كون الشريف الرضيّ هو الذي وضع **نهج البلاغة** ثمّ نسبه إلى الإمام علي (ع) ليست من عند (ديمومبين) بالأساس، إنّما هي شبهة من شبهات (ابن خلكان) و(اليافعي) و(ابن تيمية) و(ابن العماد الحنبلي) و(الذهبي) و(ابن حجر

١| ماوريس جوذفروا ديمومبين (١٨٦٢- ١٩٥٧م).

٢| **النثر الفنيّ في القرن الرابع** (مصر: الطبعة ٢)، الجزء ١، الصفحة ٦٩.





العسقلاني) و(القنوجي) تلقفها أمثال (ديمومبين) وطبّلوا لها كثيرًا.

إنّ كلّ تلك الشبهات أثيرت طعنًا ونقدًا لما في كتاب **نهج البلاغة** من حقائق، وعلوم، وبلاغة، وتشريعات، وسنن، وأخلاقيّات، ومناهج إنسانيّة راقية. وبما في هذا الكتاب من دليل واضح على التميّز الكبير لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ذلك بما حمله هذا الكتاب من فنون انعدم نظيرها، فهو (ع) أمير البلاغة، ورائد الفصاحة، وأبو الإنسانيّة بحقّ.

فنجد على سبيل المثال بأنّ (أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي)[1] يقول عن كتاب **نهج البلاغة**: "...أنّـه فوق كلام المخلوقين، دون كلام الخالق، قد اعتنق مرتبة الإعجاز، وابتدع أبكار الحقيقة والمجاز"[2].

إنّ التشكيكات - من قِبل ثلّة المستشرقين - لم تقف عند **نهج البلاغة** فقط، بل وصلت إلى التشكيك والطعن بشخصيّة الإمام علي بن أبي طالب (ع).

فنجد - على سبيل المثال - أنّ المستشرق الألمانيّ (يوليوس فلهاوزن) يقول عن الإمام علي (ع) وبكلّ صلافة، ومن دون أدنى وازعٍ علميّ أو أخلاقيّ ما نصّه: "أمّا عليّ فقد كان لاصقًا به أنّ مصدر خلافته يرجع إلى الثورة، ولم يكن لديه لا الزمن الكافي ولا المقدرة على التغلّب على هذا النقص بصفات شخصيّة

١| أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي (١٢١٧- ١٢٧٠هـ).

٢| **الخريدة الغيبيّة في شرح القصيدة العينيّة**، الصفحة ١٢٤.

ممتازة. ولم ينسَ أهل العراق أنّهم هم الذين رفعوه إلى منصبه وكانوا أبعد عن روح النظام، أو هم كانوا أكثر تدينًا من أن يطيعوا خليفتهم حيثما يوجّههم"[١].

٤- المستشرق الفرنسيّ (لويس ماسينيون):

فقد نقل عن المستشرق الفرنسيّ (لويس ماسينيون)[٢] انتقادات وجّهها لكتاب **نهج البلاغة** منها قوله: "إنّ فيه حشوًا"[٣].

وقد ردّ عليه السيّد (محسن الأمين)[٤] في كتاب **أعيان الشيعة** بقوله: "ومن الغريب ما حكاه بعض أهل العصر - ممّن يروق لهم الاستشهاد بكلام الغربيّين صحيحه وسقيمه - عن الأستاذ المستشرق المسيو ماسينيون الفرنسوي أنّه مع اعتقاده بأنّ نهج البلاغة من كلام عليّ وأنّه لا يمكن أن يكون من وضع الشريف الرضيّ لأسباب ذكرها. فهو يعتقد أنّ الكتب التي أخذ عنها الشريف الرضيّ هي كتب الزيديّة لا الإماميّة لأسباب أهمّها أنّ الإماميّة لا يعترفون بخلافة الشيخين بعكس الزيديّة الذين يقولون بصحّة خلافتهما وإن كان عليّ أحقّ منهما بتولّي أمور المسلمين. فالزيديّة إذن واسطة تفاهم وتوفيق بين السنّيين

١| يوليوس فلهاوزن، **تاريخ الدولة الإسلاميّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة**، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، الصفحة ٥٧.

٢| لويس ماسينيون (١٨٨٣- ١٩٦٢م) مستشرق فرنسيّ من مؤسّسي دائرة المعارف الإسلاميّة في مصر، والتي كان هدفها تشويه الإسلام ونشر المسيحيّة، وكان ماسينيون من كبار المنصّرين والطاعنين في الإسلام والقرآن، وصف بأنّه من المستشرقين الخطرين.

٣| الشيخ حسين جمعة العاملي، **شروح نهج البلاغة ٢١٠ شرح**، الصفحة ٣٣.

٤| آية اللّه العظمى السيّد محسن الأمين الحسينيّ العامليّ (١٨٦٥- ١٩٥٢م).



والشيعيّين لذلك كانوا يعتنون بجمع كلام عليّ ونشره بين الناس وكان غرضهم من هذا الجمع ليس كغرض المؤرّخين بل إنّ عليًّا كان بنظرهم مثلًا أعلى يجب أن يُحتذى وصاحب أخلاق سامية يجب أن تخلّد وطريقه في الحكم والإدارة وحلّ المشاكل يجب أن تعرف وما كان مثل هذه الحاجة يعرض للشيعيّين لأنّ كتاب هؤلاء هو إمامهم الذي يعيش في عصرهم لذلك لما اضطر الشيعة إلى جمع كلام عليّ نقلوا عن كتب الزيديّة. وهو اعتقاد فاسد فإنّ عليًّا إذا كان بنظر الزيديّة مثلًا أعلى يجب أن يقتدى به وصاحب أخلاق سامية يجب أن تخلّد وطريقه في الحكم والإدارة يجب أن تعرف فهو عند الشيعة الإماميّة لا ينقص عن ذلك بل يزيد وإنّ الشيعة الإماميّة تعتقد أنّ قوله وفعله وتقريره حجّة. وتعليله ذلك بأنّ كتاب الإماميّة هو إمامهم الذي يعيش في عصرهم قد أخطأ فيه. فالإماميّة لا فرق عندهم بين إمامهم الذي يعيش في عصرهم وغيره في أنّ كلام الجميع وفعلهم وتقريرهم حجّة وإن كان عليّ أفضلهم. والزيديّة وإن قال البتريّة منهم بإمامة الشيخين إلّا أنّ الباقين والبتريّة بعد الشيخين يشترطون في الإمام أن يكون من ولد عليّ وفاطمة ولا فرق بينهم من هذه الجهة وبين الإماميّة.

فقد تعاطى الأستاذ ماسينيون في ذلك ما ليس من صنعته وما لم تصل إليه معلوماته. وتساءل الأستاذ ماسينيون فيما حكاه عنه هذا البعض عن الشيء الذي كان يقود الشريف الرضيّ في اختياره لنصوص النهج أهو الذوق الأدبيّ أم النزعة الإماميّة وزعم أنّ النزعة الإماميّة كان لها أثرها في اختيار قطع النهج



بدليل وجود خطب أخرى تنسب لعليّ كانت معروفة قبل عصر الرضيّ ولم تدخل في الكتاب لمخالفتها لعقيدة الإماميّة بل ربّما دخل في النهج كلام ليس لعليّ بتأثير هذه النزعة وتصرّف ببعض الخطب وحذف وقصّر فيها وضمّنت بعض الحشو. ولكن كلّ هذا لم يمنعه من الاعتراف بأنّ كلام عليّ ظلّ في الكتاب محترمًا لم يمسّ. وهذا أيضًا غير صواب، فالذي كان يقود الشريف في اختياره لنصوص النهج هو الذوق الأدبيّ والبلاغة والفصاحة لا النزعة الإماميّة كما توهّم واستدلاله بوجود خطب تنسب لعليّ قبل عصر الرضيّ لم تدخل في الكتاب لمخالفتها للعقيدة الإماميّة غير صحيح؛ (أوّلًا): لجواز أن يكون الرضيّ لم يطلع عليها فلا يطلع على جميع الأمور الإعلام الغيوب. (ثانيًا): لعلّ تلك الخطب التي لم يذكرها ممّا لم يقع عليه اختياره فإنّه لا يذكر كلّما وجده من كلام أمير المؤمنين (ع) بل ينتخبه انتخابا. (وأمّا قوله) بل ربّما دخل في النهج إلى آخره، فلعلّه يشير به إلى ما اشتملت عليه الخطبة الشقشقيّة وغيره ممّا أجبنا عنه. (وأمّا) الحذف من الخطب، فقد بيّن الرضيّ أنّه لا ينقل جميع كلامه بل ينتخبه انتخابًا ومن كان دأبه كذلك لا بدّ له من التصرّف بحذف البعض. وأمّا الحشو الذي يزعّمه فكان عليه أن يبيّنه، فإنّا لا نرى في **نهج البلاغة** شيئًا من هذا الحشو المزعوم"[1].

يعدّ (لويس ماسينيون) من أكبر مستشرقي فرنسا، تسنّم مناصب

١ | **أعيان الشيعة**، الجزء ١، الصفحة ٥٤٣.





حسّاسة كان لها الدور الكبير في خدمة المشروع الاستشراقيّ والاستعماريّ والتبشيريّ الفرنسيّ، فقد شغل منصب مستشار وزارة المستعمرات الفرنسيّة، وكان الراعي الروحيّ للجمعيّات التبشيريّة الفرنسيّة في مصر[1].

إنّ من أهمّ أساليب (لويس ماسينيون) والتي دبّج لها المقالات الطوال هي ضرورة تشجيع الشرقيّين للدراسة في أوروبا وأميركا، وذلك للتأثير عليهم عن طريق ضخّهم في أجواء وأساليب الحياة الأوروبيّة في التفكير والعلم والسلوك ليكون ذلك أرضيّة مناسبة لتطويعهم للفكر الاستعماريّ الأوروبيّ، وبالتالي توظيفهم في خدمة أهدافهم في تطويع بلدانهم الشرقيّة لأوروبا المستعمرة، وفي هذا يقول ماسينيون لنظرائه الأوروبيّين: إنّ الطلاب الشرقيّين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلوّنوا بالمدنيّة المسيحيّة. ولعلّ من أبرز آثار هذا التوجّه لدى ماسينيون هو عنايته الفائقة ببعض هؤلاء الطلبة مثل (ميشيل عفلق) مؤسّس حزب ما يسمّى بـ(حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ) ومنظّره الفكريّ والذي قال عنه ماسينيون: (إنّه أنبغ وأعزّ تلميذ في حياته). وقد أظهرت عناية ماسينيون بميشيل عفلق بوضوح آراء التلميذ الفلسفيّة ومواقفه الخاصّة ومدى انتمائه للفكر الأوروبيّ الصليبيّ، وترجمته الحرفيّة لتعاليم الدين الكنسيّ ومضامينه الفلسفيّة، ولعلّ أبرز وأخطر ما طرحه عفلق وأسّس عليه فكر حزب البعث هو مقولته المعروفة: (الإيمان قبل المعرفة). وهي مقولة نصرانيّة محضة

١ | راجع: **الإسلام وشبهات المستشرقين**، الصفحة ١٨٨.

أفرزتها المدرسة الكنسيّة، وتوصّل إليها عقلها اللاهوتيّ بناءً على قواعد وأسس (القدّيس أوغسطين)، التي جاءت لسدّ الثغرة الفكريّة القائمة بين فكرهم اللاهوتيّ والعقل المتمثّلة بمسألة التعقيد والنقص في إدراك الثالوث المقدّس.

ينظّر ميشيل عفلق لمقولة: (الإيمان قبل المعرفة) التي استقاها من أستاذه ماسينيون مكوّنًا منها الفكر القوميّ الذي بنا عليه إيديولوجية حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ فيقول: "...إنّنا نريد أن نعرف مَن قَبِل بنا ويؤثّر على غيرنا من مجرّد سماع نبرات صوتنا ومشاهدة حركتنا العاديّة وسلوكنا اليوميّ، نريد أن نعرف الذين يدركوننا بالغريزة، أيّ هواءٍ صافٍ نستنشق، أي جوٍّ نزيه نحيا، دون أن نحتاج للبراهين والعلم والإثبات والأرقام..."[١].

يتعكّز لويس ماسينيون وكديدن غيره من المستشرقين المشكّكين والحاقدين على الإسلام، بسبب ومن غير سبب، على شبهات أثيرت على الإسلام عمومًا وعلى كتاب **نهج البلاغة** بشكلٍ خاصّ.

لقد شكّلت الشبهات التي أثارها أمثال (ابن خلكان) و(ابن تيميّة) و(الذهبي) و(العسقلاني) على كتاب **نهج البلاغة** الأساس الذي انطلق منه كلّ المشكّكين بهذا السفر الخالد، فنجد أنّ لويس ماسينيون، مثلًا، يعتمد على شبهات أثارها قبله كُتّاب ومستشرقون سبقوه، أمّا هو فقد تلقّفها جاهزة وانطلق بها كونها تخدم الأيديولوجيا التي يتبع لها.

١| ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، الصفحة ١.

وقد قال ماسينيون إنّ في كتاب **نهج البلاغة** (حشو)، والحشو: هو الزيادة التي لا فائدة فيها.

فقوله هنا هو تشكيكٌ عامّ، إذ لم يبيّن لنا ماسينيون أين وقع هذا (الحشو)؟

إنّ الهدف من وراء هذا الطرح هو التشكيك بكلّ كتاب **نهج البلاغة**؛ ذلك أنّ الحشو، وبحسب ما ادّعـاه، مشاع في كلّ الكتاب!؟

وهذا كلام في قمّة التجنّي، ولا أساس له، ولا يوجد دليل واحد يدلّ عليه مطلقًا. نعم، أُثير ويثار لكن ولحدّ الآن لم يأتِ أحد بمقطع واحد يتفق على أنّه من (الحشو) الزائد.

بل، هي شبهات أثارها الحاسدون والحاقدون، هدفها الطعن بمصداقيّة كتاب **نهج البلاغة**، وبالتالي إثارة الشكوك حول شخصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع).

٥- الراهب الفرنسيّ (م. فيغالي):

الراهب الفرنسي (م. فيغالي)[1] هو المشرف على أطروحة الطالب (جميل سلطان) حول نهج البلاغة المعنونة **دراسة حول نهج البلاغة**.

عندما ظهرت أوّل أطروحة جامعيّة عن كتاب **نهج البلاغة** في أوروبا سنة (١٩٤٨ م)، كتب المشرف عليها وهو الراهب

١| ميخائيل فيغالي، أحد اساتذة كلية بوردو، له مؤلّفات لغويّة عديدة.

(٢) Jamil SultanEtude sur Nahj AL – Balagha Paris ١٩٩٤



الفرنسيّ (م. فيغالي) في مقدّمتها كلماتٍ قائلًا فيها: "إنّه إذا كان الحديث النبويّ مشكوك فيه، فالشكّ فيما نسب لعليّ في النهج أمر أكيد..."[١].

إذ قد زعم (فيغالي): أنّ جميل سلطان قدّم اكتشافًا جديدًا عندما أثبت أنّ النهج ليس من كلام علي. هو كلام جديد قديم، ومكرّر، أساسه توجيه الانتقادات إلى أسس الإسلام الأصيل.

إنّ التشكيكات التي أثارها (ابن خلكان) وأمثاله، كانت الباب الذي ولج منه كلّ أعداء الإسلام، وبالخصوص ثلّة المستشرقين وأتباع الكنيسة الأوروبيّة المعادين للإسلام.

يصرّح (فرانز روزنتال)[٢] عن ذلك قائلًا: "وبتعلّم اللغة العربيّة باعتبارها لغة العلوم والفلسفة والفكر آنذاك، وبالاطلاع على القرآن وترجمته إلى اللاتينيّة بهدف وحيد هو الوصول إلى فهم عميق للتفكير الدينيّ الكلاميّ عند المسلمين، أملًا في أن يصبح الرهبان أقدر على التعرّف على هذا التفكير، واستغلال ما كانوا يتصوّرون أنّه مواطن الضعف فيه"[٣].

ليست تشكيكات (فيغالي) جديدة ضدّ الإسلام وكامل منظومته التشريعيّة، فهي تحاكي العقليّة الصليبيّة الحاقدة على الإسلام، والتي لا زالت تطالعنا كلّ يوم باتهامات جديدة، هدفها النيل من الإسلام ورموزه. فعلى سبيل المثال يقول القسّ المسيحيّ (سهيل

١| مقال: حول أصالة نهج البلاغة، إياد الحسيني، موقع نهج البلاغة (WWW.BALAGHAH.NET).

٢| فرانز روزنتال (١٩١٤- ٢٠٠٣م).

٣| يوهان فوك، **تاريخ حركة الاستشراق**، الصفحة ١٥.



قاشا): "وأنّه لا بدّ من الاستناد إلى وثائق مشبوهة متخذة من صلب الأحاديث والروايات. ومن المعلوم أنّ هذا الذي يدعوه المسلمون (حديثًا) إنّما هو مجموعة من الأخبار المتناقلة شفهيًّا... سوادها الأعظم إنّما هو ممّا استنبطته مخيّلات العصور اللاحقة"[١].

و(فيغالي) و(سهيل قاشا) إنّما يحاكون آراء من سبقهم من رجال دين مسيح، ويهود، ومستشـرقين كانت لهم دوافعهم الخاصّة لتوجيه النقد للدين الإسلاميّ.

فمثلًا نجد المستشرق (جولدتسيهر) يقول وبحسب رأيه عن تعارض الأحاديث مع نصّ القرآن: "فلا يوجد كتاب تشريعيّ اعترفت به طائفة دينيّة اعترافًا عقديًّا على أنّه نصّ منزل أو موحى به يقدّم نصّه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نصّ القرآن"[٢].

وكذلك نجد أنّ الكاتب الأمريكيّ (كارل إيرنست) يقول: "وقد أخذ المفكّرون المسلمون يتأمّلون في مسألة شرعيّة محمّد لسنوات عديدة، فمن ناحية قال في حديثه: "اختلاف أمّتي رحمة". ولكن من ناحية أخرى فقد نصّ على أنّه: "لا تجتمع أمّتي على ضلالة". وفي مسعى لحلّ عدم التطابق تمّ اللجوء إلى وسيلة فنيّة مختصرة ترفض هذه الأحاديث من منطق الجرح التقليديّ برواة هذه الأحاديث"[٣].

١| سهيل قاشا، **القرآن بحث ودراسة**، الصفحة ١٣.

٢| جولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلاميّ**، الصفحة ٤.

٣| كارل إيرنست، **على نهج محمّد**، الصفحة ٢٦١.

٦- المستشرق الهولنديّ (جوينبل)[١]:

كَتب في **دائرة المعارف الإسلاميّة**[٢] وضمن موضوع (الحديث)[٣]. تحدّث فيه عن موضوع (الحديث) وصفته، وعن نقد الحديث عند المسلمين، وعن تصنيفه، وعن المجموعات الحديثيّة. كما تحدّث عن الكتب الحديثيّة الخمسة عند الشيعة بإضافته **نهج البلاغة** لها. فقال: "إنّ الشيعة لا يأخذون إلّا الحديث المرويّ عن علي وأهل بيته، ثمّ تحدّث عن رواية

١| مستشرق هولنديّ معاصر، يهوديّ الديانة، أستاذ سابق بجامعة إكستر بالمملكة المتحدة، له مؤلّفات حول توثيق الأحاديث النبويّة الشريفة، ودراسات في تاريخ السنة وبواكير التأليف في الحديث وغيرها، متقاعد حاليًا ويعمل في أحد مراكز البحوث بإسرائيل.

٢| ألّف المستشرقون (دائرة المعارف الإسلاميّة) لتشكّل عصارة تصوّراتهم عن الفكر والتراث والتاريخ الإسلاميّ، وتعدّ «دائرة المعارف الإسلامية» مصدرًا أساسيًّا لفهم الرؤية الاستشراقيّة للإسلام، حيث نشرت باللغات الأجنبيّة، ثمّ ترجمت إلى اللغة العربيّة، فبلغت اثنين وثلاثين مجلّدًا.
إنّ دائرة المعارف هذه تعدّ موسوعةً أكاديميّة تدرّس بعمق الحضارة الإسلاميّة بجميع أبعادها الدينيّة وغيرها. صدرت طبعتها الأولى بين عامي ١٩١٣- ١٩٣٨ بالإنجليزيّة والألمانيّة والفرنسيّة، وفي عام ١٩٥٣م صدرت نسخة مختصرة لها ترجمت إلى كلّ من العربيّة والتركيّة والأورديّة.
أشرف على الطبعة الأولى لها آرندجان فنسنك الذي كان عضوًا في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، كما شارك في إعدادها المستشرق الفرنسيّ المعروف لويس ماسينيون.
وصدرت الطبعة الثانية عام ١٩٥٤ لتستمرّ إلى ٢٠٠٥م، وأضيفت إليها الكثير من المقالات، ليشارك فيها هذه المرّة باحثون شرق أوسطيّون، هذا ويتمّ إصدار هذه الموسوعة من قبل شركة بريل الهولنديّة.
بدايةً، كما قلنا، ترجمت بعض أجزائها إلى العربيّة، وصدرت في مصر في ستينيّات القرن العشرين، ثمّ أعيد طبع النسخة العربيّة في الشارقة عام ١٩٩٨. وفي عام ١٩٩٩ صدرت النسخة الإلكترونيّة لهذه الموسوعة في أقراص مدمّجة على صفحات الإنترنت.
بدأ العمل على الإصدار أو الطبعة الثالثة لدائرة المعارف الإسلاميّة عام ٢٠٠٧م، وما يزال مستمرًا إلى اليوم، حيث تظهر المقالات تباعًا كلّ فصل.

٣| تراجع النسخة العربيّة من دائرة المعارف الإسلاميّة، دار المعرفة.



الحديث وطرقها وأساليبها"[١].

فإن كان كلامه بأنّ الشيعة تتحيّز للإمام عليّ وأهل بيته (ع) في كلّ شيء ومنه رواية الحديث، فهذا الكلام شطط ومجانب للصواب، أمّا لو كان المراد بأنّ الشيعة لا تثق بالحديث المرويّ عن النبيّ محمّد (ص) إلّا عن طريق الإمام عليّ وأهل بيته (عليهم السلام) فهذا هو الواقع، إذ إنّهم الأوثق والأدقّ ومن أمر اللّه تعالى بهم وبطاعتهم وبإتباعهم.

٧- المستشرق الأمريكيّ (إدوارد فانديك):

يقول العلّامة السيّد هبة الدين الشهرستاني[٢] في ما قاله المستشرق الأمريكيّ (إدوارد فانديك)[٣] ونسبة إدوارد فانديك بأنّ كتاب **نهج البلاغة** هو للشريف المرتضى أخ الرضيّ خطأ منشأه أنّ الشريف الرضيّ كان يلقب بالمرتضى أحيانًا؛ لأنّ جدّه إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، كما أنّ أخاه المرتضى كان يلقّب بذلك، ثمّ بقي هذا اللقب على هذا، ولقب الأوّل بالرضيّ يوم رضوا به نقيبًا على نقباء العلويين

١| **دائرة المعارف الإسلاميّة**، الجزء ٢، الصفحة ٢٣٨، مدخل: (أصحاب).
للمزيد يراجع كتاب **دراسات في الفقه الإسلاميّ المعاصر**، للشيخ حيدر حبّ اللّه، موضوع (المستشرقون وحجيّة السنّة النبويّة الشريفة، مطالعة تحليليّة نقديّة).

٢| هبة الدين الشهرستاني (١٣٠١- ١٣٨٦هـ).

٣| إدوارد كرنيليوس فانديك (١٨١٨- ١٨٩٥ م) مستشرق هولنديّ الأصل. أمريكي المولد والمنشأ، مستعرب، تعلّم الطبّ والصيدلة، وعمل مبشّرًا، كما عمل على تأسيس المدارس والمستشفيات في بلاد الشام، مؤسّس الجامعة الأمريكيّة في بيروت.

ليتميّز عن بقيّة آل المرتضى[١].

ومن مقولات إدوارد فانديك أيضًا؛ أنّه ينسب **نهج البلاغة** إلى (الرازي / ت ٤٠٦هـ).

لذا يقال: ولعلّ السبب أنّه ليس من أبناء الضادّ، وقادته عجمته إلى تبديل الضاد بالزاي، فهو تصحيف[٢].

إنّ هذا الخلط الواضح ليس خلطًا نادرًا، بل ذلك يعني وقوع الخلط عند غيره، أي عند كثرة كاثرة في هذا المورد وفي غيره من الموارد الأخرى. ممّا يدعونا إلى تحقيق كلّ ما صدر عمّن لا يتقن العربيّة من جانب، وعند من يختلف بالرؤى والأسس معنا.

أمّا كونه، فقط، ليس من أبناء الضاد لذلك وقع بالخطأ ليس بالسبب الكافي، وإن قد يكون ليس بعيدًا عند (فانديك) على سبيل المثال، ذلك أنّ التصحيف[٣] التعمّدي فضلًا عن الخطأيّ سَبَّبَ وسيسبّب مشاكل كبيرة جدًّا.

ثانيًا: المادحون له

لقد كان الشرق بالنسبة لكلّ سكّان أوروبا هو أرض الألغاز والأساطير، أرض الشخصيّات الساحرة، أرض الشجاعة والفروسيّة، أرض البلاغة والفصاحة والشعر.

١| هبة الدين الشهرستاني، **ما هو نهج البلاغة**، الصفحة ٥٨ (بتصرّف).
٢| محمّد حسين الحسيني الجلالي، **دراسة حول نهج البلاغة**، الصفحة ٤٧.
٣| التصحيف: هو تغيير لفظ الكلمة الناشئ عن تشابه الحروف.

إنّ النظرة الانبهاريّة للشرق من قبل الأوروبيين لا تختلف عن نظيرتها الشرقيّة بالنسبة للأوروبيّين في عصرنا الحاليّ، بل كانت أكثر.

يقول أستاذ التاريخ والعالم الإنكليزيّ (ج. هرنشو): "فكذلك الصليبيّون، خرجوا من ديارهم لقتال المسلمين فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة..."[١]-[٢].

إنّ هذا يعكس مدى الانبهار بالشرق بكلّ ما فيه من تراث وشخوص وأماكن. لقد كانت الطلائع الأولى للأوروبيين ممّن أُطلق عليهم لفظ (مستشرقين) قد جاءت باحثة عن الكنوز والثروات وعن العلوم والمعارف وعن المغامرة للإطلاع على تلك الأرض التي ظلّت قرونًا تبهرهم وتثير الحفيظة في نفوسهم غلًّا وشغفًا.

إنّ الاحترام والانبهار بشخصيّة الإمام عليّ (ع) تبعه احترام بكلّ ما يختصّ به من أفعال وأقوال وتراث وأهل وأصحاب.

لقد ترك (ع) أثره الخالد على كلّ من قرأ عنه، فقد كانت كلماته تجاري ألفاظ القرآن الكريم من مداعبتها لشغاف القلب وتمازجها مع ثنايا الروح.

١| ج. هرنشو، **علم التاريخ**، الصفحة ٣١.

٢| إنّ من أهمّ الأسباب التي توصّل إليها الصليبيّون في تعليلهم لفشلهم، وتفوّق المسلمين عليهم هو (الحريّة الفكريّة) التي كان يتمتّع بها المسلمون، وهو ما عمد الأوروبيون إلى تأسيسه في بلدانهم إثر عودتهم من فلسطين، وهو بالذات ما أدّى بهم فيما بعد أن يتربّعوا على قمّة السلّم الحضاريّ العالميّ، وهو نفسه الذي أدّى إلى تخلّف المسلمين وتراجعهم حضاريًّا ومعرفيًّا حين فقدوا (الحريّة الفكريّة) بعد شيوع الظلم، والاستبداد، والتسلّط.

إنّ كلماته (ع) علّمت الأدب للأدباء، والشعر للشعراء، والبلاغة للبلغاء، والفصاحة للفصحاء، والحكمة للحكماء.

وما كلمات الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وابن المقفع (ت ١٤٢هـ)، وعبد الله ابن المبارك (ت ١٨١هـ)، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، والبيهقي (ت ٣٢٠هـ)، وأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، وابن نباتة (ت ٣٧٤هـ) إلّا سرقات من كلمات وحكم ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)[١]. فكانت لهم الشهرة بما سرقوه من كلمات أمير المؤمنين (ع)، بل إنّ أكثر من حقّق تراث من ذكرنا أطرى ومدح بلاغتهم من دون أن يشير إلى الفضل الكبير للإمام عليّ بن أبي طالب (ع) عليهم، إذ لم يبيّن أحد من المحققّين في تراثهم سرقاتهم الأدبيّة والبلاغيّة والنصّيّة من الإمام (ع) دفعهم لذلك بغضهم للإمام (ع).

لقد تأثّر الكثير من المستشرقين والكتّاب الأوروبيين بشخصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع)، فلقد بهرتهم شجاعته وبلاغته وصبره وإيمانه وفروسيّته.

يقول المستشرق (ريفلريد ماديلونغ) عن الإمام علي (ع): "لا أهتمّ بالطابع الأيديولوجيّ أو الاقتصاديّ وحتّى التاريخيّ بفترة حكم الإمام عليّ، ما يهمّني هو شخصيّته، وما حملته من قيم إيجابيّة أو سلبيّة، هادفة أو ضارّة، وبلا شكّ فإنّه شخصيّة

١| يراجع لذلك البحث الموسوم بـ: محسن القزويني، **أثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ**، مجلة أهل البيت (ع)، جامعة أهل البيت (ع) (العراق- كربلاء)، العدد ١، الصفحات ٨٢- ١٣٥.



عظيمة"[١].

يقول المؤرّخ الإنكليزيّ (إدوارد جيبون)[٢] عن الإمام علي بن أبي طالب (ع): "شخصيّة فريدة متألّقة شاعر ومؤمن ونبيل وقدّيس، حكمته كالنسيم الذي يتنفّسه كلّ إنسان، فهي أخلاقيّة وإنسانيّة، منذ تولّده وإلى وفاته كان حكيمًا، جمع تلاميذه وناداهم بإخوتي وأحبائي، حقًّا كان هارون المتجدّد صدّيق النبيّ موسى، كما وصفه النبيّ محمّد"[٣].

ذلك التأثّر، والحبّ، والانبهار من قبل المستشرقين والمفكّرين في أوروبا بالإمام علي (ع) دعاهم إلى البحث عنه، وقراءة كلّ ما كتب عنه مدحًا أو قدحًا.

لقد كان لنهج البلاغة والذي جمعت فيه كلمات وخطب ورسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) حصّة من هذه القراءة الاستشراقيّة، إذ قد تتبّع المستشرقون هذا السفر الخالد، والذي جمعه الشريف الرضيّ بالبحث والدراسة والتنقيب والتحقيق، ولقد أثّرت فيهم تلك الكلمات الخالدة التي صدح بها أمير المؤمنين (ع) في حلّه وترحاله.

في الوريقات القادمة، سوف نتعرّض لأقوال المادحين لكتاب **نهج البلاغة** مستعرضين أقوالهم بما يتلاءم والبحث، ومن هؤلاء:

١| موقع نهج البلاغة: WWW.BALAGHAH.NET
٢| إدوارد جيبون (١٧٣٧- ١٧٩٤م).
٣| موقع نهج البلاغة: WWW.BALAGHAH.NET

١- المستشرق الفرنسيّ (نرسيسيان):

إنّ المستشرق الفرنسيّ (نرسيسيان)[١] يرى بأنّ كتاب **نهج البلاغة** يتفوّق على كلّ كلام عربيّ لكثرة ما فيه من (السهل الممتنع) الذي لا يوجد في سواه.

لقد أُعجب (نرسيسيان) بحسن السجع فيه وكيف يجري كالماء السلسال على لسان الامام علي (ع) إذ يقول: "ولو كان يرقى هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصرنا هذا، لرأيتم مسجدها على سعته يتموّج بقبعات الإفرنج للاستقاء من بحر علمه الزاخر"[٢].

كما ويقول السيّد هبة الدين الشهرستاني: "ولقد حاورني ببغداد سنة ١٣٢٨هـ رئيس كتاب القنصليّة البريطانيّة "نرسيسيان" من فضلاء الأرمن زاعمًا تفوّق **نهج البلاغة** على كلّ كلام عربيّ لكثرة ما فيه من السهل الممتنع الذي لا يوجد في سواه وانقياد الأسجاع الصعاب فيه بلا تكلّف..."[٣].

إنّ هذا الكلام الجميل لـ (نرسيسيان) يحمل في طيّاته تصريحًا وتلويحًا؛ فقد صرح مادحًا **نهج البلاغة**، مبيّنًا في طيّات كلامه بأنّه ليس كتابًا بلاغيًّا أو أدبيًّا فقط، بل هو كتاب علم ومعرفة، وإلّا فما شأن (الفرنج) يأتون ليستقوا من علومه وهو (عربيّ) يختلف عن لغاتهم.

نعم، هم يأتون لينهلوا منه العلوم والمعارف، إذ إنّ كلّ كلمة

١| فرنسيّ الأصل؛ عمل كرئيس كتاب القنصليّة البريطانيّة ببغداد عام (١٣٢٨هـ).

٢| نقلًا عن: حسن القبانجي، **كتاب صوت الإمام علي في نهج البلاغة**، الصفحة ٣٦.

٣| **ما هو نهج البلاغة**، الصفحة ٤٧.





فيه تفتح للعارف بها كنوز العلوم الجمّة، التي لا تنضب أبدًا.

ولِمَ لا وقائله هو علي بن أبي طالب (ع) القائل: "علمني رسول اللّه ألفَ بابٍ من العلم ينفتح لي منها ألفُ باب..."[1].

والذي قال عنه عبد اللّه بن عبّاس: "واللّه لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم اللّه لقد شارككم في العشر العاشر".

وقد لوّح (نرسيسيان) ناقدًا لأهل اللغة العربيّة، ممّن يدينون بالدين الإسلاميّ، ويعرفون علي بن أبي طالب (ع) ومع ذلك يطوون كشحًا عنه، وعن علومه، وبلاغته، بل نراهم يشكّكون بنهج البلاغة بتشكيكات بالية لا طعم لها ولا لون، ولا أساس لها إلّا الحقد والعداء لهذا الرجل العظيم.

فعن سعيد بن كلثوم، قال: "كنت عند الصادق جعفر بن محمّد (ع)، فذكر أمير المؤمنين (ع) فأطراه ومدحه بما هو أهله، ثمّ قال: واللّه ما أكل علي بن أبي طالب من الدنيا حرامًا قطّ حتّى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قطّ هما للّه رضا إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول اللّه (ص) نازلة قط إلا دعاه ثقة به، وما أطاق عمل رسول اللّه (ص) من هذه الأمّة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأنّ وجهه بين الجنّة والنار، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه اللّه والنجاة من النار، ممّا كدّ بيديه

١| الشيخ المفيد، **الاختصاص**، الصفحة ٢٨٣، وابن عساكر، **تاريخ دمشق**، الجزء ٢، الصفحة ٤٨٤.



ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخلّ والعجوة، وما كان لباسه إلّا الكرابيس إذا فضل شيء عن يده من كمّه دعا بالجلم فقصه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهًا به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين (ع)"[١].

يقول المستشرق الفرنسي (آيتين دينيه)[٢] عن الإمام علي بن أبي طالب (ع): "أصبح عليّ بن أبي طالب بفضل إخلاصه المتناهي وشجاعته التي لا تقاوم وحرصه الشديد على طاهر السجايا، أحد أبطال الإسلام المشاهير..."[٣].

٢- المستشرق الانكليزي (كرينو):

قال المستشرق الإنكليزي (كرينو)[٤] عندما اجتمع الأساتذة والأدبـاء حوله في حفلة وسألوه عن إعجاز **القرآن الكريم**، أجابهم: "إنّ للقرآن أخًا صغيرًا يسمّى **نهج البلاغة** فهل في إمكان أحد أن يأتي بمثل هذا الصغير حتّى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير"[٥].

وقال أيضًا في مقال آخر: "وإذا طلبت البلاغة في أتمّ مظاهرها، والفصاحة التي لم تشبّها عجمة، فعليك بنهج البلاغة الذي فيه خطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ورسائله إلى عمّاله"[٦].

١| المجلسي، **بحار الأنوار**، الجزء ٤٦، الصفحة ٧٥.
٢| ألفونس آيتين دينيه (١٨٦١- ١٩٢٩م) رسّام فرنسيّ عالميّ مشهور.
٣| آيتين دينيه، **محمّد رسول الله**، الصفحة ١٩٩.
٤| أستاذ الآداب العربيّة في كليّة (علكيده) الهنديّة.
٥| نقلًا عن كتاب: **صوت الامام علي في نهج البلاغة**، الصفحة ٣٦.
٦| مجلّة المجمع العلميّ السوريّ، المجلّد ١٨، الصفحة ٢٧٠.

نقول:

قال رسول اللّه (ص): "إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي"[١].

وفي موردٍ آخر قال (ص): "إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما"[٢].

إنّ كلام المعصوم (ع) يأتي بعد كلام اللّه تعالى **القرآن الكريم**. فكيف بنهج البلاغة وهو يحتوي على كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) أو الأئمّة المعصومين (ع) بعد رسول ربّ العالمين (ص).

إنّ نهج البلاغة هو الكتاب المتمّم والمكمّل لكثيرٍ ممّا في القرآن الكريم، ففيه تفسير وتوضيح لآيات القرآن الكريم، وبيان للكثير من التشريعات القرآنيّة، وغيرها من تشريعات تأسيسيّة.

نكتة في المقام:

إنّنا نقرأ في زيارة الإمام الحسين (ع): "يا ابن الميامين الأطياب، التالين الكتاب....".

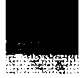
وهنا نكتة مهمّة في هذا المقطع الجميل:

فالمراد بـ تالٍ: أي الذي أتى ثانيًا خالفًا ما قبله.

١ | الميرزا النوري، **مستدرك الوسائل**، الجزء ٣، الصفحة ٣٥٥.

٢ | **سنن الترمذي** (بيروت: دار الفكر)، الجزء ٥، الصفحة ٣٢٩.





وقولنا: السؤال التالي: الآتي بَعدُ.

فـ(التالين الكتاب) ليس يراد بها (القارئين) للكتاب، بل الذين يأتون بعد الكتاب، والتعبير بالتالي بعد الأوّل حتّى يعرف أنّه ليس هناك آخر ثالث مطلقًا.

نعم، إنّنا نقرأ في وصية (ناصيف اليازجي)[١] لولده (إبراهيم) ما نصّه: "إذا شئت أن تفوق أقرانك في العلم والأدب، وصناعة الإنشاء، فعليك بحفظ القرآن ونهج البلاغة"[٢].

إنّها كلمات ووصايا من أناس يمتلكون عقولًا رصينة، وأفئدة سليمة، قد جذبهم الحقّ فساندوه وصدحوا به، لا يهمّهم المجاملات الزائلة، والفئويّات القبليّة المقيتة. بل إنّنا نقف عند مقولة جميلة للدكتور (زكي مبارك) يقول فيها: "إنّي أعتقد أنّ النظر في كتاب **نهج البلاغة** يورث الرجولة والشهامة وعظمة النفس، إنّه فيض من روح قهّار واجه المصاعب بعزائم الأسود"[٣].

إنّها وصايا لنا نحن المسلمين ممّن قد ابتعدنا عن كتاب **نهج البلاغة**، بل إنّنا قد ابتعدنا عن كتابنا السماويّ **القرآن الكريم**، ليصبح هذا البعد من سمات المجتمعات الإسلاميّة التي جذبتها التقنيّات الحديثة لتحلّ محلّ الثوابت، بل لتحلّ محلّ العبادات، بل لتحلّ محلّ الإله.

نعم، إنّ "ظهور العلم والتكنولوجيا دفع بالبعض للإعلان عن

١| ناصيف اليازجي (١٨٠٠- ١٨٧١م).

٢| الحسيني، **مصادر نهج البلاغة وأسانيده**، الجزء ٣، الصفحة ٩١، نقلًا عن كتاب **نظرات في القرآن** لمحمّد الغزالي، الصفحة ١٥٤.

٣| زكي مبارك، **عبقريّة الشريف الرضيّ**، الصفحة ٢٢٤.

عدم حاجتهم للأمور الماوراء طبيعيّة. فالإنسان الذي كانت تقول له تعاليم القرون الوسطى أنّ اللّه هو الذي وهبه الوجود، وهو الذي يسجّل مصيره، شعر مع التطوّر التكنولوجيّ أنّه يمتلك القوّة ولديه القابليّة، ولا يشعر بالحاجة إلى غيره بحيث يستطيع أن يتدخّل في الطبيعة ويتصرّف بها، ويبني الحياة على أساس رغبته، أي إنّ التطور التكنولوجيّ حوّل عجز الإنسان إلى قوّة، وأحلّ إرادته محلّ المشيئة الإلهيّة"[١].

يخبرنا أمير المؤمنين (ع) عن زمانٍ يأتي على أمّة النبيّ محمّد (ص) تترك فيه القرآن وتتخلّى عنه وتجعله سلعة وزينة لا أكثر، لا تقيم الحقّ الذي فيه، ولا تبطل الباطل الذي حذر منه، إذ يقول (ع): "ولَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ولَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ. فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ ولَيْسَا مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ"[٢].

إنّ كتاب **نهج البلاغة** عندما يوضع إلى جنب القرآن، فإنّه يعدّ

١| طيبة ماهروزادة، **العلمانيّة والعصرانيّة**، الصفحة ١٤٩.

٢| **شرح نهج البلاغة**، الجزء ٢، الصفحتان ٣٠ و٣١.

تاليًا له، إذ ليس هناك أيّ كتاب آخر له هذا المستوى الخطابيّ والبلاغيّ بما فيه من نفحات إلهيّة غير نهج البلاغة، ذلك إنّه يحتوي على كلام المعصوم (ع).

المعصوم الذي قال عنه تعالى في محكم كتابه الكريم: **﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[١].

والذي نزلت فيه سورة (هل أتى)، وفي فضله وكرمه نزل قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[٢].

وآيات قرآنيّة أخرى كثيرة، تعضدها أحاديث نبويّة مباركة في حقيقة وأحقيّة ومكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

يقول الأديب المسيحيّ (أمين نخلة)[٣] عن **نهج البلاغة**: "...فإذا شاء أحد أن يشفي صبابة نفسه من كلام الإمام فليقبل عليه في "النهج" من الدفّة إلى الدفّة، وليتعلّم المشي على ضوء نهج البلاغة"[٤].

كما ونقرأ في كلمات (ابن ميثم البحراني)[٥] بحقّ كتاب **نهج البلاغة** ما نصّه: "وكنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب اللّه وكلام رسوله مصباحًا أستضيء به في الظلمات، وسلّمًا أعرج به إلى طباق السماوات، كنت في أثناء وقوفي على شيء من

١| سورة **الزخرف**، الآية ٤.
٢| سورة **المائدة**، الآية ٥٥.
٣| أمين نخلة (١٩٠١- ١٩٧٦ م) أديب وسياسيّ لبنانيّ.
٤| أمين نخلة، **مئة كلمة من نهج البلاغة**، الصفحة ٥.
٥| كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ).



أسراره واكتحالي بسواطع أنواره أتأسّف على من يُعرض عنه جهلًا، وأتلهف لو أجد له أهلًا"[١].

٣- المستشرق الفرنسيّ (هنري كوربان):

قال المستشرق الفرنسي (هنري كوربان)[٢] عن **نهج البلاغة:** "وتأتي أهميّة هذا الكتاب في الدرجة الأولـى بعد القرآن وأحاديث النبيّ، ليس بالنسبة للحياة الدينيّة في التشيّع عمومًا وحسب، بل بالنسبة لما في التشيّع من فكر فلسفيّ. ويمكن اعتبار نهج البلاغة منهلًا من أهمّ المناهل التي استقى منه المفكّرون الشيعة...وإنّك لتشعر بتأثير هذا الكتاب بصورة جمّة من الترابط المنطقيّ في الكلام، ومن استنتاج النتائج السليمة، وخلق بعض المصطلحات التقنيّة العربيّة التي أدخلت على اللغة الأدبيّة والفلسفيّة فأضفت عليها غنى وطلاوة وذلك أنّها نشأت مستقلّة عن تعريب النصوص اليونانيّة"[٣].

يشير (هنري كوربان) هنا إلى ما يحتويه **نهج البلاغة** من علوم جمّة أكثرها غير معروف، والمعروف منها لم تعرف حقيقته الكاملة، ولم يقف عند تفرّعاته وقواعده وأسسه الصحيحة.

إنّ نهج البلاغة يعتبر من أهمّ المناهل التي نهل منها المفكّرون الشيعة، بما استفادوه منه من علوم تشريعيّة وفكريّة وأخلاقيّة وعلميّة.

١| ابن ميثم البحراني، **شرح نهج البلاغة**، الجزء ١، الصفحة ٢١.

٢| هنري كوربان (١٩٠٣- ١٩٧٨ م) مستشرق فرنسيّ.

٣| هنري كوربان، **تاريخ الفلسفة الإسلاميّة**، الصفحتان ٨٠ و٨١.

ففي هذا (الكتاب) مصطلحات لم تكُ معروفة قبله، صورها ووضعها وصاغها أمير المؤمنين (ع) ليستفيد منها كلّ طلاب العلم والمعرفة.

وهذا هو الإبداع الحقيقيّ، والمائز الكبير لكتاب **نهج البلاغة**، والذي يمثّل حقيقة كلام المعصوم، والذي لا يعرفه إلّا أتباع مدرسة أهل البيت.

لقد تميّز الفكر الشيعيّ عن غيره بالحريّة والانفتاح الفكريّ، ففي حين كانت الفلسفة والعلوم العقليّة محرّمة عند جمع كثير من المسلمين، لكونها وحسب مدعاهم: تبعد الإنسان عن الدين. وأجلى الأدلّة على ذلك ما قام به الغزالي في كتابه **المنقذ من الضلال** من تكفير الفلاسفة[١].كلّ ذلك يشير إلى أنّ نشأة الفكر الفلسفيّ والتفكير العقليّ في الإسلام كان على أيدي الشيعة وأئمّتهم[٢].

يؤكّد على ذلك الدكتور (إبراهيم مدكور)[٣] بقوله: "ففي حين أنّ الشيعة يتقبّلون بقبول حسن كثيرًا من الآراء الفلسفيّة، نرى أهل السنّة يقفون من هذه الآراء موقف الحذر والحيطة"[٤].

ويقول أحمد أمين المصري: "ولذلك كانت الفلسفة ألصق بالتشيّع منها بالتسنّن"[٥].

١| الغزالي، **المنقذ من الضلال**، الصفحة ١٠٤.
٢| **الدور الرياديّ للإمام الصادق (ع) في تدوين العلوم ونشرها**، الصفحة ٥٧.
٣| إبراهيم مدكور (١٩٠٢- ١٩٩٦م).
٤| إبراهيم مدكور، **في الفلسفة الإسلاميّة منهج وتطبيق**، الجزء ١، الصفحة ١٠٩.
٥| أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، الجزء ١، الصفحة ١٩٠.





بينما نرى أنّ مظلوميّة الشيعة تظلّ قائمة إلى أبد الآبدين فحتّى الفلسفة سُلبت منهم ونُسِبت إلى غيرهم ممّن كان يخاف منها ويُحرمها بالأمس القريب.

يقول (هنري كوربان) مشيرًا إلى تلك النقطة المهمّة: "فلقد أُهمل العامل الشيعيّ بكليّته تقريبًا، مع أنّه لا يمكن التفكير بمصير الفلسفة في الإسلام، وبمعنى الصوفيّة، بشكل مستقلّ عن معنى التشيّع"[١].

ويقول أيضًا: "فنحن لا نستطيع أن نتعرّض لما كان من أمر الحكمة في الإسلام، سواء من حيث التجربة الروحيّة، أو من حيث حكمتها الإلهيّة النظريّة التي تجد جذورها في التعليم الفلسفيّ الشيعيّ"[٢].

ويشير الكاتب المصريّ (عبّاس محمود العقّاد)[٣] إلى هذه النقطة المهمّة بقوله: "لأنّ هذه المسألة بذاتها، مسألة الدراسة العقليّة، قد كانت في طليعة المسائل التي اشتغل بها الشيعة الإماميّون، فمن أفواه الشيعة الإماميّين تلقّى أساطين الفلسفة الإسلاميّة كلامهم في العقل والنفس وفي مذهب الأفلاطونيّة الحديثة ومذهب أفلاطون منه على التخصيص"[٤].

ويقول (هنري كوربان) في مورد آخر عن كتاب **نهج البلاغة** ما نصّه: "هذا الكتاب مجموعة مهمّة من كلمات عليّ بن أبي

١| هنري كوربان، **تاريخ الفلسفة**، الصفحة ٤٢.

٢| المصدر نفسه، الصفحة ٣٢.

٣| عبّاس محمود العقّاد (١٨٨٩- ١٩٦٤م).

٤| عبّاس محمود العقّاد، **التفكير فريضة إسلاميّة**، الصفحة ٤٠.

طالب، الإمام الأوّل للشيعة، يشتمل على المواعظ والأقوال والكتب وغير ذلك، وهذا الكتاب من أهمّ الكتب عند الشيعة بعد القرآن والأحاديث النبويّة، ليس للحياة المذهبيّة للتشيّع فقط، بل لأفكارهم الفلسفيّة أيضًا، وعليه يمكن اعتبار كتاب **نهج البلاغة** من أهم المصادر الشيعيّة في أصول العقائد التي اعتمد عليها مفكّرو الشيعة وخصوصًا مفكّرو القرن الرابع. والفلسفة الشيعيّة أخذت ملامحها الخاصّة من هذا المصدر، فإنّ مفكّريهم استنتجوا المطالب المرتبطة بالإلهيّات منه. وممّا يؤسف له، أنّ هذا الكتاب لم يحظَ بتحقيق فلسفيّ معروف في أوروبا حتّى يومنا هذا، فإنّه وبالتحقيق الدقيق من خلال شرح وتحليل وتفصيل هذا الكتاب من قبل الشيعة والسنّة كابن ميثم البحراني وابن أبي الحديد والخوئي وغيرهم، ومن خلال ترجمته إلى اللغة الفارسيّة وإضافة هذا الكتاب إلى كلمات سائر الأئمّة، نفهم السرّ في اكتساب الأفكار الفلسفيّة الشيعيّة تكاملًا وتطوّرًا جديدًا، في البرهة التي توقّفت حركة الفلسفة عن التطوّر في العالم السنّيّ بحيث لم تعد الفلسفة السنّيّة فلسفة حيّة"[١].

٤- الكاتب والمفكّر الأمريكيّ (لكن هاوسن):

قال الكاتب والمفكّر الأمريكيّ (لكن هاوسن)[٢] عن **نهج البلاغة**:

١| مجلّة الفكر الإسلاميّ، العدد ١٦٤، سنة ٤، شوال- ذو الحجة ١٤١٧هـ آذار- أيّار ١٩٩٧م، الصفحتان ١٧٥ و١٧٦.

٢| مفكّر كاثوليكيّ أمريكيّ وأستاذ جامعيّ، ولد في أمريكا سنة (١٩٥٣م) حصل على شهادة البكالوريوس في الفلسفة من جامعة ولاية نيويورك، وحصل على شهادة الماجستير والدكتوراه في الفلسفة أيضًا من جامعة (رايتس) في ولاية



"عندما قرأت نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضيّ بعضًا من كلام الإمام عليّ، وقد أعجبتني شخصيّة الإمام عليّ السياسيّة والعرفانيّة والاجتماعيّة"[١].

هو إعجاب مشوب بشيء من الحبّ والاحترام، فالذي يقرأ كلام الإمام عليّ (ع) يتيقّن بأنّه كلام لا يشبه كلام المخلوقين أبدًا.

إنّ كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وبحقّ يشبه الترانيم الملائكيّة، والقصائد التي تفيض تعابيرًا وصفيّة جميلة وشاعريّة، ويشبه صوت الآذان الصادح بالتوحيد الإلهيّ.

إنّ كلّ من قرأ نهج البلاغة من العقلاء، قد أيقن بأنّ عليّ بن أبي طالب (ع) هو الرجل الإلهيّ على الأرض. إنّه المنقذ الذي لم يعرف أهل زمانه مكانته وقدره.

فهو (ع) القائل: "أيّها الناس إنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم... أتتوقّعون إمامًا غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل...".

ألم يقل عنه الزمخشري: "ماذا أقول في رجلٍ أخفت أعداؤه فضائله حسدًا، وكتمتها أولياءه خوفًا وحذرًا، فظهر من بين ذين ما ملأ الخافقين".

تكساس، اعتنق الإسلام سنة ١٩٨٤م وأصبح اسمه (محمّد).

١| موقع نهج البلاغة: WWW.BALAGHAH.NET

يقول الأديب المسيحيّ اللبناني (نصري سلهب)[١] عن كتاب **نهج البلاغة**: "...لو قدر لنهج البلاغة من ينقله، روحًا ومعنى إلى بعض لغات الغرب، لأخذ عليّ مكانة بين أعظم المفكّرين الذين خاطبوا القلوب والعقول والضمائر ليرقوا بها إلى ملكوت اللّه، ذلك الملكوت الذي لا يزال، حيث تنعم النفس بخلود أبديّ في حضرة اللّه"[٢].

نعم، إنّ من يقرأ **نهج البلاغة** لن يعجب بكلام أمير المؤمنين (ع)، بل ستعجبه شخصيّة الأمير كذلك، كما صرّح بذلك (لكن هاوسن) وغيره ممّن أعجبته تلك النفس والروح الإلهيّة لأمير المؤمنين (ع).

و(لكن هاوسن) لن يكون المعجب الأوّل ولا الأخير بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

٥- المستشرق الإنكليزيّ (سيمون أوكلي):

لقد كتب المستشرق الإنكليزي (سيمون أوكلي)[٣] كتابًا بعنون **تاريخ المسلمين**)ضمّنه فصلًا في (كلمات قصار لعليّ بن أبي طالب) اقتبسها من كتاب أسماه **ربيع الأخبار**[٤] وترجمها إلى

١| نصري سلهب (١٩٢١- ٢٠٠٧م).

٢| نصري سلهب، **في خطى علي**، الصفحات ٤١ و٤٢ و٣٢٣.

٣| سيمون أوكلي (١٦٧٨- ١٧٢٠م) قسّ مدينة كامبرج، درس العربيّة، أصدر في العام (١٧٠٨م) كتابه **غزو السراسنة لسوريا وفارس ومصر** بدت صورة الرسول (ص) مشوّهة في كتاباته لأنّه سار على أثر (همفري بريدو) (١٦٤٨- ١٧٢٠م) في تصويره لطبيعة الإسلام وسيرة الرسول (ص).

٤| ربّما يكون كتاب **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار** لجار اللّه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

الإنكليزيّة، وقدّم لهذا الفصل بمقدّمة انتقد فيها بعض المظاهر السائدة في المجتمع البريطانيّ آنذاك من قبيل الانغماس في المظاهر المعيشيّة والأمور الكماليّة كموضة الزيّ والأثاث وغيرها، وأشاد بالشرق وخاصّة العرب لعنايتهم بالكلام، وخاصّة (الحكم والأمثال)، والتي تعكس عمق تجربتهم.

لقد تطرّق إلى (سيمون أوكلي) إلى (الحِكم العلويّة) قائلًا: "إنّ في هذه الكلمات القصار ما يكفي لتخليص العرب من تهمة الجهل التي ألصقتها بهم التقليعات الحديثة"[1].

نقول:

أوّلًا: ليتخلّص جلّ العرب من التشكيك بالحِكم التي قالها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع).

وثانيًا: لينصفوا عليّ بن أبي طالب (ع)، وبالخصوص تجاه الهجمة التي شرعت ضدّه قديمًا وحديثًا.

وثالثًا: ليدرسوا ويعرفوا مكانته (ع) في المنظومة الإسلاميّة.

بعد ذلك عليهم، أي العرب، التوجّه نحو كلامه وحكمه (ع) ليتخلّصوا بفضلها من تهمة الجهل، بحسب تعبير أوكلي، التي وصموا بها.

فهو القائل (ع): "... أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ ولاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ..."[2].

1 | **Semom Ockley, Sentences of Ali (Wisdom of The East), Lahore, National Book Society, N . D, p10 .**

٢ | الخطبة الشقشقيّة.





يقول (البيهقي)[١]: "...ما ظنّك بكلام علي بن أبي طالب (ع)، وهو كلام إذا لحظه الطرف رأى حقائق العلم المكنون، وإذا تصفّحه الخاطر جنى ثمرات السرّ المخزون، حتّى قال عمرو بن بحر الجاحظ: وددت أنّي أعطيت جميع مصنّفاتي، وقطعت أنسابها عنّي، وأخذت بدلها ثلاث كلمات منسوبة إلى عليّ بن أبي طالب وصارت منسوبة إليّط[٢].

٦- المستشرقة الإيطالية (لورة فيتشيا فاليري) ونهج البلاغة:

بطلب من جمعيّة أحباء إيطاليا ألقت الأستاذة لورة فيسيا فاغليري[٣] محاضرة عن كتاب **نهج البلاغة** بقاعة القنصليّة الإيطالية حضرها جمع كبير من العلماء والأدباء والطلبة. وقد قدّمها لإلقاء الكلمة الأستاذ الشيخ الفاضل (بن عاشور)[٤]، وممّا قال في تقديمها: "قد اختارت الأستاذة في محاضرتها موضوعًا من المواضيع التي تثقفت فيها؛ فقد كانت هذه الأستاذة متخصّصة في دراسة العهد العلويّ ودراسة شخصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب (رضي اللّه عنه)، وخلافته وآدابه، وهي اليوم تتولّى عرض بحث يرجع إلى تمييز القيمة الفنيّة لكتاب **نهج البلاغة** وتمحيص ما فيه من النصوص التي تفضّل أنّها صحيحة

١| البيهقي: ظهير الدين علي بن زيد البيهقي (٤٩٩- ٥٦٥هـ) من مشايخ ابن شهر آشوب.

٢| البيهقي، **معارج نهج البلاغة**، الصفحة ١١٠.

٣| لورة أو لورا فيسيا فاليري أو فاغليري (١٨٩٣- ١٩٨٩) مستشرقة إيطاليّة، اهتمّت بالتاريخ الإسلاميّ وبفقه اللغة العربيّة وآدابها.

٤| محمّد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩- ١٩٧٣) عالم وفقيه تونسيّ.





النسبة للإمام عليّ والنصوص التي تقول كغيرها من الباحثين العرب والمستعربين القدماء والمحدثين إلى أنّها ليست صحيحة النسبة إلى الإمام عليّ".

مع موضوع البحث:

قالت لورا فيتشيا فاليري مبتدئة كلامها عن كتاب **نهج البلاغة**: "كم كان سروري عندما دعاني حضرة صاحب السعادة سفيرنا المفوّض إلى القاء محاضرة بين حضراتكم، تلك هي فرصة سنحت لزيارة بلدكم الذي تهواه نفسي وإن اعتلاني الخجل وأحاطني الوجل من الخطابة بلغة تنطقونها بكيفيّة تتعسر على أمثالي، غير أنّ لطافتكم التي أحاطتني قد أزالت عنّي كلّ خجل ووجل، فأشكركم من أعماق نفسي على حفاوتكم ومجاملتكم. وها أنا ذي أحدّثكم عن نهج البلاغة، أحدثكم بكلّ بساطة حذرًا من أن يطبّق عليّ قول الشاعر: (كالهرّ يحكي انتفاخًا صورة الأسد).

فقبل أن أستهلّ الموضوع ألتمس من حضراتكم الإصغاء إلى ذكر الأسباب التي دعتني إلى الاهتمام بالبحث عن كتاب قد لا تستساغ قراءته.

ولا ندري أكان ذلك من صعوبة إدراكه، أو من كثرة المواعظ الموجودة فيه.

وكما تعلمون أنّ الناس قد لا تحبّ أن توعظ أو تذكر الآخرة وما ينتظر المذنبين فيها من سوء الوعيد، كنت أعلم أنّ الشيعة



اعتبرت كتاب **نهج البلاغة** كتالي **القرآن الكريم** والحديث النبويّ وكما كنت أعلم أنّ أهل السنّة يعظّمونه وخصوصًا بعد أن اهتمّ الإمام الشيخ محمّد عبده ببعثه من مرقده وها قد أصبح الشبّان في المدارس يحفظون منه نبذًا.

ومن جهة أخرى، كنت أجد هذا الكتاب مهملًا في مؤلّفات المستشرقين وبحوثهم باعتباره مزّورًا ثمّ قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الجليل القائل: ليس هناك أسباب تحمل على رفض كلّ ما انطوى عليه الكتاب رفضًا قاطعًا، وإنّ بحثًا دقيقًا منصفًا قد يؤدّي إلى تمييز المزوّر والاكتشاف الحقيقيّ فأثّرت فيَّ هذه الكلمة وأخذت تطارح خلدي.

وبينما كنت مشغولة بالتنقيب عن الحوادث الواقعة في عهد خلافة أبي الحسن عليّ بن أبي طالب إذ عثرت على صحف شتّى من الكتاب فلاحظت انطباقها على نصوص المؤرّخين القدماء.

فقلت لنفسي إن وثقنا بهؤلاء المؤرّخين وقبلنا ما ذكروه لنا فلم لا نعتبر هذه الصحف من الحقيقيّ أيضًا؟

وتساءلت في نفسي: لم لا أحاول دراسة ما في الكتاب؟ فلو ثبتت صحّة جزء منه على الأقل لكان ذلك نجاحًا في العثور على شاهد كبير في النثر العربيّ يعدّ الثاني بعد **القرآن الكريم**.

فشرعت في دراسة الكتاب مباشرة وإذ ذاك علمت أنّ مشكلة صحّته قد شغلت أذهان علماء المسلمين من قبل وإنّ الجدال والنزاع كان قد قسّمهم إلى ثلاث فرق.



فكان فريق يدافع بحماسة عن صحّة نسبة الكتاب إلى الامام عليّ ولا يجيزون محاولة الجدال في أمر صحّته وفريق لا يعترف إلا بصحّة جزء منه وفريق بتّ في عدم صحّة الكتاب بأسره ويعتبره مختلقًا.

ثمّ اطلعت على بحث أجـراه باللغة الفرنسيّة أحد علماء المسلمين حديثًا، غير أنّي لا بدّ أن أصرّح بعدم قبولي لأسلوبه الذي يختلف عن أسلوبنا معشر المستشرقين، وحتّى لو وجدنا فيه ملاحظات تقتبس لأهميّتها ودقّتها.

ثمّ وضعت الكتاب أمامي وقمت بترجمته، لأنّ عمليّة الترجمة هي حيلة تساعد الباحث على فهم فكرة المؤلّف الأجنبيّ وخصوصًا إن كان النصّ معقّدًا فإنّها تجبر على التعمّق.

غير أنّي قد أخطأت في بادئ الأمر: فلقد اعتاد كلّ مصنّف أن يستهلّ موضوعه بمقدّمة كما اعتاد كلّ قارئ إهمالها وعدم الالتفات إليها. وكنت من بين هؤلاء الذين أهملوا مقدّمة كتاب **نهج البلاغة** في بادئ الأمر، ولنا الآن أن نسلك سواء السبيل معًا ونحلّل هذه المقدّمة.

ولكن قبل أن نبدأ أستأذن حضراتكم في فتح قوس: لقد أخبرنا ابن خلكان عن اختلاف الآراء حول من جمع كلام الإمام هل كان الشريف الرضيّ أم الشريف المرتضى؛ غير أنّ الشكّ في الجامع لا مبرّر له فلقد كان الجامع بلا شكّ هو الشريف الرضيّ وليس أخاه الشريف المرتضى. وسوف أعرض هذا وأبسّطه في مقالة سأنشرها عمّا قريب إن شاء اللّه تعالى، ولذا سوف لا أقصد من ذكر الجامع أثناء حديثي سوى الرضيّ.

فلنقفل القوس ولنعد إلى مقدّمة الكتاب؛ فالشريف الرضيّ وهو الشاعر المشهور، الأديب المأثور عاش في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة. ذكر في سابقة الذكر أنّه قد ابتدأ في عنفوان شبابه في تأليف كتاب في خصائص الأئمّة يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم غير أنّه ما أتمّ من هذه الخصائص سوى ما يخصّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فجاء في آخرها فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه من الكلام القصير دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من أصدقائه ما اشتمل عليه هذا الفصل المذكور معجبين ببدائعه متعجّبين من نواصعه فسألوه أن يؤلّف كتابًا يحتوي على المختار من كلام أمير المؤمنين في جميع فنونه ومتشعّبات غصونه من خطب ومواعظ وآداب علمًا أنّ ذلك يتضمّن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربيّة وثواقب الكلم الدينيّة والدنيويّة ما لا يوجد مجتمعًا في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب.

فأجاب الرضيّ مسألة هؤلاء معتمّدًا تبيين عظيم قدر أمير المؤمنين في هذه الفضيلة فلنستخرج الآن زبدة ما ذكر...

ما كان مراد الرضيّ من تأليف كتابه هذا؟

أوّلًا: كان غرضه أن يجمع نبذًا. وما اهتمّ بجمع كلّ ما نقل عن ابن أبي طالب، فإنّنا نجد خطبًا ورسائل منسوبة إليه في بطون كتب أخرى. إذن، قد اخطأ من قال إنّ كتاب **نهج البلاغة** يضمّ كلّ ما نقل عنه.



ثانيًا: لم يكن غرض الشريف الرضيّ إلا تأليف مجموعة للفصاحة العلويّة ويؤيّد هذا عنوان الكتاب نفسه **نهج البلاغة** كما تشير الى ذلك بعض العبارات التي تلي ما لخصّناه من المقدّمة يذكر فيها الجامع أنّه قد أجمع على اختيار محاسن الخطب فمحاسن الكتب ثمّ محاسن الحكم والآداب وإنّ الغرض من هذه العمليّة هو أن يورد النكت واللمع لا التتالي والنسق.

وبهذه الكيفيّة قد خطّط الرضي حدود عمله، إذ ليس بمجموعة نصوص الإمـام تتخذّها الشيعة أساسًا لمبادئهم المذهبيّة ومطامعهم السياسيّة، كلّا بل هو كتاب أدبيّ محض.

ولو قمنا فيما بعد بمطالعة صحائف الكتاب لوجدنا في طيّه من الأدلة ما يزيد وضوحًا في أنّ الجامع قد اقتطف ما طاب له سواء كان ذلك من الطويل أو القصير أو الأقصر بحيث لا يكون خارجًا عن حدود عمله وحيّز غرضه فقد نرى كلّ قطعة من هذه المقتطفات متوّجة بأحد هذه العناوين وهي (من خطبة له (ع)) أو (من كلام له (ع)) وغير ذلك، كما نراها متمنطقة الوسط بقول الجامع.. (ومنها) أو (ومنه) وذلك بعد سطور معدودات من القطعة نفسها.

وأخيرًا، قد لاحظ ابن أبي الحديد الشارح المشهور قطعًا أنّها قدّمت كقطع ذات عنصر واحد وهي في الحقيقة مركّبة من عنصرين أو أكثر ثمّ قال إنّ الجامع قد ذهب إلى ذكر البليغ من كلام أمير المؤمنين ولا غير. فكانت كلمة الشارح للجامع كتزكية.

أكان كشف النقاب عن كلّ هذا أمرًا ضروريًّا؟

نعم كان ضروريًّا لأنّه بمساعدة ما ذكرته قد نستطيع معرفة سبب غرابة هذا الكتاب وغموض بعض مواضيعه.

إنّ العصر الذي عاش فيه الرضيّ لهو القرن الرابع للهجرة وممّا عرف عن أدبائه أنّهم كانوا يتسابقون إلى النسق ودقّة الصناعة والزخرفة أكثر من التفاتهم إلى إشباع الموضوع؛ ذلك القرن شاهد موكب النثر المزخرف أثناء سيره في طريق الانتصار.

فبهذا قد اتّضح لنا السبب الذي حمل مؤلّفنا على جمع وثائق لغويّة عتيقة غنيّة بزخارف البلاغة وعجائب الفصاحة أنّ ذلك لهو المبدأ الذي تحكّم في كتاب **نهج البلاغة** وسيطر عليه، هو العثور على رشيق الأسلوب وجميل الصيغة وغريب المفردات ونادر الجمل وبديع المجاز.

سبق أن نوّهت بغرابة الكتاب وربّما ظنّ بعض حضراتكم أنّي لم أنصف، فما هي علامات تلك الغرابة؟

إنّ عدم وجود ترتيب وتعقيب أوّل ما، يلاحظ اللّهم إلا ما كان من فصل الجامع للخطب عن غيرها كالرسائل والحكم، ففي هذا أنّه لرتّب وعقّب، وما سوى ذلك فكان ممزوجًا؛ فقد مزج طويل أنبذ بقصيرها وأقصرها كما مزجت السياسة بالوعظ والوصف. كذا لم يلتفت الجامع إلى سابقيّة الحوادث. فمخاصمة أمير المؤمنين لأعدائه قد سبقت مثلًا رثاءه لفاطمة الزهراء حين دفنها وهلّم جرّا.

وقد ذكر في آخر الكتاب أنّ الرضيّ انتهى من جمعه سنة

أربعمئة للهجرة ثمّ توفّاه اللّه سنة ست وأربعمئة واشتغل خلال هذه السنوات الستّة الأخيرة بما قد وكّل إليه من المناصب فتساءلت عمّا إذا كان الكتاب قد أُتمّ عند مماته أم لا. فلننتقل الآن إلى بحث الكتاب من الباطن بعد أن فحصناه من الظاهر.

ذكرت أنّ ابن خلكان قد شكّ فيمن جمع الكتاب، غير أنّي لم اذكر أنّه أضاف إلى ذلك الشكّ مخبرًا عن اتهام علماء وقتئذٍ لصحّته (صحّة نسبته إلى أمير المؤمنين) (فقد قيل إنّما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه واللّه أعلم).

فتبيّن أنّ أعظم الشكوك هو الشكّ في صحّة نسبته وخاصّة من أهل السنّة قد وقع.

وأمّا الشيعة، فقد أجمعوا على صحّته بتمامه أو اعترفوا عن غير رضى بوجود المدسوس فيه ممّا لا صلة له بعليّ وقد تسرّب ذلك إلى نهج البلاغة بقدر إلى الحديث الشريف.

فلنفتح الكتاب ونستهلّ قراءته: الحمد للّه الذي لا يبلغ مدحتَه القائلون. ولا يحْصِي نَعماءه العادّون. ولا يؤدّي حقّه المجتهدون، الذي يدركه بُعْد الهمْم، ولا يناله غَوْص الفطن، الذي ليس لصفته حدّ محدود. ولا نعت موجود. ولا وقت معدود ولا أجل ممدود....

رحماك ربي قد بدأ الشكّ يتسرّب إلينا أيضا ويسري في قلوبنا. فما أوقع هذا السجع وما أضبطه.

فلنواصل قراءتنا: أوّل دينه معرفته. وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده. وكمال توحيده الإخلاص له. وكمال



الخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الصفة. فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثنّاه. ومن ثناه فقد جزّأه....

أهذه القطعة شهدت عهد عليّ؟ كلّا، إنّ هذه القطعة الكلاميّة في توحيد اللّه لم تُخلق في عهده مطلقًا وما ولدت إلّا بعده غير أنّ ما قرأناه هو أوّل ما في الكتاب فقد نعتبره كمقدّمة أضيفت إلى الأصل فيما بعد. فلنترك هذا ونقرأ قطعة أخرى:

الحمد للّه الذي لم يسبق له حال حالًا. فيكون أوّلًا قبل أن يكون آخرًا، ويكون ظاهرًا قبل أن يكون باطنًا....

فما أكثر الأفكار الفيلسوفيّة في هذا القطعة ولنقرأ نبذة أخرى:

وبسطتم يدي وكففتُها. ومددتموها فقبضتُها. وتداككتم علي تداكَ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى انقطعت النعل. وسقط الرداء. ووُطىء الضعيف وبلغ من سرور الناس بيعتهم إيايّ أن أبتهج بها الصغير. وهدج إليها الكبير. وتحامل نحوها العليل. وحسرت إليها الكعاب.

فأين السجع هنا؟ اللّهم إلّا ما كان عفوًا عن غير قصد ممّا لا يعرف النسق والمبالغة بحال وما وجد في هذه القطعة سوى وصف بسيط ولم لا نصرح بقدم مثل هذه القطعة؟ فربّما صحّت أيضًا نسبتها إلى الإمام عليّ، لم لا؟

قد تشيّع بعض الباحثين ومنهم نفس الشارح ابن أبي الحديد لوحدة الأسلوب (أسلوب الكتاب من أوّله إلى آخره) أمّا رأيي فهو عدم وحدة الأسلوب.



فاصغوا إلى هذه القطعة التالية التي يقرأها الدكتور (روستكو) نيابة عنّي: كبس الأرض على موْر أمواج مستفحلة، ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذيّ أمواجها وتصطفق متقادفات أثباجها وترغو زبدًا كالفحول عند هياجها، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها، وسكن هيج ارتمائه إذ وطأته بكلكلها، وذلّ مستخذيًا إذ تمعّكت عليه بكواهلها فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجيًا مقهورًا، وفي حَكَمة الذُلّ منقادًا أسيرًا وسكنت الأرض مدحوّة في لجّة تيّاره، ورَدّت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ أنفه وسموّ غلوائه وكعمته على كُظّة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته ولمّا سكن هياج الماء من تحت أكنافها وحَمْل شواهق الجبال الشُمّخ على أكتافها فجّر ينابيع العيون من عرانين أنوفها، وفرّقها في سهوب بيدها وأخاديدها وعَدَلَ حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشمّ من صياخيدها وسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع أديمها وتغلغلها متسرّبة في حبوبات خياشيمها وركوبها أعناق سهول الأرضين وجرائيمها وفسح بين الجوّ بينها وأعدّ الهواء متنسّمًا لساكنها وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها ثمّ لم يدع جُرُز الأرض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الأنهار ذريعةً إلى بلوغها حتّى أنشأ لها ناشئة سحاب تُحْيي مواتها وتستخرج نباتها، ألّف غمامها بعد افتراق لمعه وتبايُن قزعه حتّى إذا تمخّضت لجّة المزن فيه والتمع برقه في كففه، ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه، أرسله سحًّا متداركًا قد أسفّ هيْدبهُ تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودقع شآبيبه...





وأظنّكم توافقوني ومَن حكم على حداثة أمثال هذه القطعة لإحكام صناعتها ودقتها.

يقول ناكرو النسبة: إنّ الطريقة العدديّة في شرح المسائل كتقسيم الفضائل والرذائل إلى عدة عناصر لم يلتفت إليها أدباء الصدر الأوّل وفي كتاب **نهج البلاغة** أمثلة عديدة لهذه الطريقة وأذكر منها قوله:

الإيمان على أربعة دعائم على: الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر منها على أربع شعب....

ثمّ يقول ناكرو النسبة إنّ في الكتاب ما يشمّ منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب وإن اعتقدت الشيعة في أهليّة الإمام لعلم الغيب، فأهل السنّة أفردوا اللّه بذلك بدليل ما ورد في القرآن (لا يعلم الغيب إلّا اللّه) فلقد قرأت هذه التنبّؤات فوجدتها في غاية من الغموض فتساءلت عمّا إذا كانت تنبؤات حقًّا أم لا.

وبما قد سبق من الأمثلة والكلام، قدّمُت إليكم الحجج الأساسيّة التي كانت في متناول المتنازعين.

وعند وصولنا إلى هذه النقطة من كلمتي لعلّ أحدكم يقول في نفسه: لقد جاءت هذه المحاضرة بأشياء قد عرفناها من قبل، فما تقصد؟

فجوابي على حضرة المتسائل هذا: أنّي قد حضرت لا لأطرح شيئًا جديدًا على بساط البحث وذلك لاعتقادي أنّ العمل الذي قمت به لم يقم به أحد سواي فقد استخرجت من الكتاب كلّ ما يحتوي عليه من المواضيع السياسيّة المتعلّقة بالحوادث



التاريخيّة ثمّ ترجمتها فأدرجتها حسب التسلسل التاريخيّ ثمّ درستها. فهذا عمل قد تبيّنت لي أهميّته وإن لم أتممه حتّى الآن لأنّه مكّنني من إيجاد بعض الملاحظات مثلًا:

أوّل شيء لاحظته أنّ الذي يرجع إلى أقدم عهد من حياة ابن أبي طالب ما هو إلّا القليل النادر وهذا إن لم يكن بمقدار حجّة تامّة على صحّة النسبة فقد يكون شبه حجّة على الأقلّ لأنّه لو أراد أحد تزوير هذه الوثائق لقام بتزوير كلّ ما انطوى عليه عهد الإمام. وإنّما كثرة ما ورد من قطع تتعلّق بما حصل بعد أن بويع له بالخلافة تدلّ على أنّ اهتمام الناس بحفظ كلامه نشأ ونما حسب ارتفاع منزلته.

ولي أن أقول أيضًا: إنّ ترتيب المقتطفات حسب تسلسل التاريخ قد جعلني أسقط بعضًا من تعاليل مَن ذهب على عدم الصحّة القائلين: وكيف يمكن وقوع الطعن في بعض صحابة رسول اللّه بما لا يليق من مثل الإمام عليّ؟

وقالوا: لو أنّ عليًّا لم يستحسن كيفيّة بيعة من سبقوه بالخلافة، كما ورد في الخطبة المسماة بالشقشقيّة، فكيف له أن يمدح عمر بن الخطاب ويتغالى في رفعة شأنه كما ورد في خطبة أخرى، فإذن تضادّ هذه المقتطفات، ممّا يحرّضنا على الشكّ في صحّتها، ولكن، أيّها السادة، الزمان وتطوّراته هي حقيقة واقعيّة ولا بدّ للباحث من أن يقدّر تغيّر الظروف فيجب فحص مقتطفات **نهج البلاغة** بعد أن وضعت متسلسلة حسب تطوّرات الحوادث التاريخيّة. أعني بعبارة أخرى أنّ عليًّا بعد أن بويع

له بالخلافة وبعد أن اضطرّ إلى مواجهة معارضيه بحدّ السيف تمكّن من التصريح بما كان كامنًا في نفسه أو بما لم يتكوّن في باله قبل.

ثمّ من المعروف أنّ النزاع السياسيّ قد يدفع إلى العنف لفظًا وخطًّا وقد أخبرنا المؤرّخون من العرب عن مقدار الأهواء التي انطلقت من عقالها في عهدي خلافة عثمان وعليّ وقد وصلنا ما حفظوه لنا من الوثائق وإن اختبرنا تلك النبذ على ضياء التاريخ فيتلاشى التضادّ في الواقع وعندما عاودت قراءة هذه النبذ درسًا تبيّن لي جليًّا ما قد أحسست به أثناء سرادتي الأولى وهو رجوعها إلى عهد قديم جدًّا.

فإن وجدنا بعض جمل تثير الشكّ في قدمها فمن المحتمل أن تكون من التحشية وهذا لا يجيزنا على ردّ القطعة بأسرها باعتبارها مستحدثة.

وقد صرّح جرجي زيدان بأنّ المقتطفات السياسيّة في كتاب **نهج البلاغة** ترجع إلى عليّ غير أنّه لم يبرز أدلّة على صحّة ما تبيّن له. ثمّ من ذوات الأهميّة أنّ ما يتوسّم بالطابع الشيعيّ من النصوص في **نهج البلاغة** - وهذا القليل النادر – لهو من المبهم الغامض، ولعلّ سبب هذا هو اهتمام الجامع بعرض الفصيح كما ذكرنا، غير أنّي اعتقد أنّه من داعٍ آخر، وهو قدم المقتطفات نفسها.

قد لاحظ الباحث الحديث الذي أومأت إليه بأنّ الكتاب يضمّ قطعًا تنطوي على آراء تتماشى مع آراء الإماميّة والإسماعيليّة





وأهل السنّة وغيرهم ثمّ قال: إنّ لهذه الآراء أصلًا في مذهب الإماميّة أو في مذهب الإسماعيليّة أو في مذهب «السنّة» وما الذي يستنتج من هذا القول لا بدّ أن يستنتج منه أنّ القطع التي تضمّ لم تتكوّن في عهد عليّ وما انشقّت وتفرّعت إلّا فيما بعد فكأنّما كانت لبًّا ثمّ نمت وتطوّرت وتميّز بعضها عن بعض وضبطت. لذا، نجد أنّ الآراء الموجودة في **نهج البلاغة** لا تسنّ اتجاهًا معيّنًا لأنّها سابقة لتكوين المذاهب نفسها.

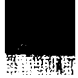
والأسلوب الذي يجب أن يتّخذه نقّاد التاريخ هو اعتبار الآراء وقت حدوثها وعدم تطبيق ما حدث فيما تأخّر على ما وقع فيما تقدّم.

وممّا ينبغي علينا أن نذكره هو أنّ الرضيّ كان شيعيًّا يعيش في عهد بني بويه وهم أيضًا من الشيعة وكان بأيديهم مقاليد الأمور باستئثارهم على الخلفاء أنفسهم ولذا كان في وسع الرضيّ إدراج ما يتماشى مع قومه مذهبًا ومطمعًا ولكنّه لم يفعل ولماذا لم يفعل؟

لأنّه رجل نزيه وما وجده منقولًا عن الإمام من تصريحات سياسيّة إنّما كانت بصيغة التخصيص، ولأمانته ونزاهته تعفّف عن تبديله وإدراج ما يرضي قومه فيه.

ويمكنكم أن تسألوني عن الثقة التي بيني وبين الشريف الرضيّ وعن سببها وهي تخالف وجهة شكّ ابن خلكان وعادة بعض الرواة من العرب فيما مضى وهي تأليفهم للشعر وتنميته إلى بعض شعراء الجاهليّة مثلًا، كما إنّهم يختلقون الأحاديث حسب





شهواتهم ثمّ ينسبونها إلى رسول اللّه. نعم، لقد كان كذلك حقًّا غير أنّه كان دائمًا لغرض ما.

ما هو غرض الشريف الرضيّ؟

سأقصّ عليكم بعضًا من خصائصه التي بها يمكنكم الحكم لشخصيّته:

كان الرضيّ ينحدر من سلالة علويّة كريمة تنتمي إلى الامام السابع ألا وهو موسى الكاظم (ع) وهذا من جهة أبيه، وأمّا نسبه من جهة أمّه فكان علويًّا أيضًا وكان أحد أجداده ملكًا في القوقاز.

فلقد استلم الرضيّ ما كان بيد والده من المناصب رغم حداثة سنّه وصغره عن أخيه المرتضى. فكان نقيب الطالبيّين وناظر المظالم وأمير الحجّ وكرمه بهاء الدولة البويهيّ ورفع منزلته فأتحفه بأنبل الألقاب كما صاحبه وأخلص له الخليفتان الطائع والقادر.

وحاصل هذا أنّ الرضيّ قد وصل إلى أعلى القمم فتمكّن من نظم هذه الأبيات:

عطفـًـا أمير المؤمنيــن فإنّنا في دوحــة العليــاء لا نتفـرّق
ما بيننــا يوم الفخار تفاوت أبدًا كلانا في العلاء معرّق
إلّا الخلافة شـرفتك فإنّني أنا عاطل منها وأنت مطوق

فردّ عليها الخليفة بقوله: على رغم أنف الشريف وكان الرضيّ ثريًّا وتحمّله لنفقات دار العلوم التي أسّست في بغداد دليل





على ثروته. وكان مشهورًا لنبوغه في الشعر. ألم يذكر معاصره الثعالبي أنّه (الرضي) أشعر الطالبيّين وربّما أشعر قريش؟ وكان معزّزًا بكثرة الأتباع والأصحاب. ألا يدلّ على ذلك بقاؤه في المناصب رغم اضطراب الآونة؟

غير أنّ الذي أريد إحياءه هو علوّ همّته وحرصه على استقلال ذمّته وآرائه فانّه لم يقبل صلات من أحد حتّى من بني بويه. ولمّا خلع بهاء الدولة الخليفة الطائع عنفًا تجاسر الرضيّ على إظهار حزنه وذمّ السلطان وما أجسره عندما رثى الخليفة بعد وفاته بالحبس إذ كان الظالم هو بهاء الدولة حاميه وكان حريصًا على تنفيذ ما كان عليه من الواجبات وكان يوصف بالإفراط في عقاب المذنب من أهله وله حكايات في ذلك منها أنّ امرأة علويّة شكت إليه زوجها وكان مقامرًا فأمر الرضيّ بضربه مئة جلدة. فصاحت المرأة ييتّم أولادي فأجابها بقوله: أظننت أن أفعل به كما يفعل المؤدّب مع أطفاله؟

إذن كان الرضيّ قادرًا غنيًّا اعتلى قمّة الشهرة لنبوغه الشعريّ، رقيق الحسّ كريم الخلق. لا يشفّ عنه أيّ غرض سياسيّ ممّا قام بجمعه في كتابه بل بالعكس فقد نجد فيه ما يخالف آراء الروافض الذين ينتمي إليهم الرضيّ بعينه وأضف إلى هذا أنّ كثيرًا من النصوص التي اقتطفها كانت معروفة في بيئته وحينه. فهل كان في إرادته واستطاعته أن يبدّل شيئًا منها؟ كلّا، ثمّ هناك تغيّرات كثيرة في النصوص التقطها الرضيّ ودونها، ولأيّ داعٍ كانت هذه المشقّة؟

إنّي لأرى سرّ مسألة **نهج البلاغة** كامنًا في جملة قصيرة تُقرأ في مقدّمة الرضيّ حيث يتكلّم عن كتابه الأوّل في خصائص الأئمّة فقد أخبرنا أنّه جمع محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير.

إذن، جمع الرضيّ ولم ينتقد ولو أخذ ينتقد ما تواتر النقل فيه فعلى أيّها يقف؟ إذ تيسّرت التحشية وخاصّة في السجع. فإنّ الجملة تدعو أختها والاسم يدعو ما يرادفه والنعت يبقى على خشونته أن انفرد فيسعى إلى تهذيب نفسه بما يوافق طبعه فقد اندفع الرواة إلى تنميق النصوص الصحيحة أو القديمة بتنوّعات ابتدعوها واستعذبها الجمهور ومن أعسر الأمور القيام بتمييز صحيح النسبة أو العتيق ممّا زيد عليه.

وإن كنت أعتقد أنّ في استطاعتي القيام بهذه العمليّة فيما يخصّ الجزء السياسيّ وذلك بمساعدة الرجوع إلى ما نعرفه من الحوادث التاريخيّة، فالباقي من الكتاب أسلّمه إلى من هو أقدر منّي على تلك المهمّة مقتصرة على الإشارة إلى مبدأ واحد وهو كلّ رواية هي صحيحة بصفة عامّة حتّى يتبيّن أنّها باطلة. (لا تبتسموا من بساطة هذا المبدأ فإنّه من المودّة أن يشكّ في بادئ الأمر ثمّ يفتش عن الحجج لتثبيت الصحّة).

وبتطبيق المبدأ المذكور، أرى أنّ الباحث يجْبر على حذف صحف كثيرة من كتاب **نهج البلاغة** رغم ملوسته وخصوصًا المطوّل منه. ثمّ بعد الحذف، يبتدئ ذلك العمل الدقيق الذي لإتمامه لا بدّ من معرفة عميقة بالنثر العربيّ وتطوّره دراسة

وذوقًا وقد سبق أنّه ممّا خرج من وسعي وفي أثناء العمل لن يُنْسى شيء مهمّ جدًّا وهو أنّ شهرة فصاحة وبلاغة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب لا يُثبتها تواتر الأخبار فحسب بل كانت تُركّز على نصوص دارت بين الأدباء وكفى بنا شهيدًا ما حكى الجهشياري عن عبد الحميد الكاتب الشهير في أواخر عهد بني أميّة أحد واضعي فنّ الرسائل العربيّ وما يحكى عنه هو أنّه ابتدع أسلوبه بما درسه من بليغ ابن أبي طالب كما أنّ ابن نباتة ذلك الخطيب الذي شاعت شهرته لنبوغه في الخطابة قد اكتفى بخطب عليّ وأخذ منها. إذن، لم تكن شهرة فصاحة عليّ توسيعًا للإعجاب به لكونه ابن عمّ رسول اللّه وسابقيه في الإسلام وجهاده وإمامته للمسلمين بل كانت إعجابًا نشأ من وثائق تدرس وتقتدى.

فحريّ أن يجتهد في اكتشاف ما في **نهج البلاغة** من النصوص القديمة. هذه النصوص التي في استطاعتها أن تزوّد الآداب العربيّة بأثمن الوثائق وأعظم البراهين، بجانب القرآن العظيم، على مقدرتها وثروتها ونضوجها السابق لعهد اختلاط العرب بغيرهم من الأمم.

وبالختام أضيف: إنّه على الباحث ألّا يقيس ما يجده في كتاب **نهج البلاغة** من الأفكار والآراء المتداولة في المدينة لما كانت المركز السياسيّ لسكّان جزيرة العرب فقط بل عليه أن يقيسها على بيئة المدينة التي ضمّت عليًّا في نضوجه أعني في الوقت الذي أصبحت فيه المدينة عاصمة دولة كبرى؛ فلقد تحوّلت

بيئتها وتغيّرت عمّا كانت عليه واتسعت الأفكار بفضل التحنيك الدينيّ والسياسيّ والعسكريّ فلا عجب إذن من وجود آراء جديدة وأفكار فريدة لأنّ ذلك وليد تلك الزلازل وذلك الضجيج التي عرفها أهل المدينة مدّة زادت على ربع قرن تلك هي الفترة التي بين البعثة ووفاة ابن أبي طالب[١].

٧- الأستاذ الإنكليزي (كربنكو):

ذُكر للأستاذ (كربنكو)[٢] قوله بحقّ كتاب **نهج البلاغة** عندما اجتمع حوله الأساتذة والأدباء في حفلة من الحفلات وسألوه عن إعجاز **القرآن الكريم** أجابهم قائلًا: "إنّ للقرآن أخًا صغيرًا يسمّى (نهج البلاغة) فهل في إمكان أحد أن يأتي بمثل هذا الصغير حتّى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير"[٣].

وقال في مقال آخر: "وإذا طلبت البلاغة في أتمّ مظاهرها، والفصاحة التي لم تشبها عجمة، فعليك بنهج البلاغة الذي فيه خطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ورسائله إلى عمّاله"[٤].

كلام جميل وطرح موضوعيّ تفضّل به (كربنكو) ليكون في صفّ المنصفين من المستشرقين الذين دعتهم الموضوعيّة إلى وضع

١| مقتبس من مجلّة الفكر التونسيّة، العدد (٢) السنة ١٩٥٨. ويراجع لذلك أيضًا: موقع نهج البلاغة.

٢| كربنكو: أستاذ إنكليزيّ الجنسيّة، أستاذ الآداب العربيّة في كليّة (علكيده) الهنديّة.

٣| نقلًا عن: حسن القبانجي، **صوت الإمام علي في نهج البلاغة**، الصفحة ٣٦.

٤| مجلّة المجمع العلميّ السوريّ، مجلّد ١٨، الصفحة ٢٧٠. ونقله: لبيب بيضون، في: **الإعجاز العدديّ في القرآن**.

الأمور في مواضعها الصحيحة.

هذا القول يدعونا إلى عدم التزمت تجاه الشخوص، وكذلك إلى عدم التسليم المطلق، إذ لا إفراط ولا تفريط.

الخاتمة

قال تعالى: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾[١].

في نهاية هذا البحث، إنّ لنا بعض التمنّيات التي نسأل من اللّه تعالى أن يوفّق لها القائمين على خدمة تراث أهل البيت (ع) عمومًا، وتراث أمير المؤمنين (ع) والمتمثّل بكتاب **نهج البلاغة** خصوصًا والتي منها:

١- الاهتمام الجادّ والعمليّ بهذا الكتاب وعلومه، إذ إنّ في هذا السفر الخالد علومًا جمّة لا تقف عند الجانب اللغويّ والبلاغيّ فقط.

٢- ترجمة تراث أهل البيت (ع) إلى اللغات العالميّة الحيّة، والذي يمثّل منطق الاعتدال والتآخي في قبال خطابات التكفير والتهميش التي يطلقها من يتستّر بالإسلام، مركّزين على وصايا أمير المؤمنين (ع) في كتاب **نهج البلاغة** والتي تحمل أرقى المعاني الإنسانيّة كوصيته إلى ولده الحسن (ع)، وكعهده إلى مالك الأشتر.

٣- إنشاء مؤسّسات ومراكز بحث تهتمّ بكتاب **نهج البلاغة** فقط،

١ | سورة **المطففين**، الآية ٢٦.

لاستخراج، بقدر ما، ما به من علومٍ جمّة والتي لا تقف عند حدٍّ محدود.

٤- نشر ثقافة قراءة هذا السفر الخالد عند جميع شرائح المجتمع، من فهمٍ لمعانيه وحفظٍ لخطبه، في تسابقٍ حثيث وذاتيّ إلى ذلك، يبرز هويّتنا في الانتماء إلى أمير المؤمنين (ع).

٥- إدخال هذا الكتاب العظيم ضمن المناهج الدراسيّة ليبدأ تدريسه تدريجيًّا من المرحلة الابتدائيّة وصولًا إلى الدراسات العليا بلا انقطاع في أيّ مرحلة من المراحل الدراسيّة ضمن جدول معدّ لذلك. تصاعديًّا، وإن كان ولا بدّ أن نبدأ بأضعف الإيمان، فلنبدأ بالمدارس والمعاهد والكليّات الإسلاميّة الخاصّة كخطوة أولى، إذ إنّ من بادر للخير لم يعدم التوفيق. والحمد للّه رب العالمين.



المصادر والمراجع

١- أبو محمد عبد اللّه بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، **الإمامة والسياسة**.

٢- علي بن نفيع العلياني، **عقيدة الإمام ابن قتيبة** (مكتبة الصديق، ١٩٩١م).

٣- شمس الدين الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**.

٤- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **لسان الميزان** (مكتبة المطبوعات الإسلاميّة، الطبعة ١، ٢٠٠٢م).

٥- شاه عبد العزيز الدهلوي، **مختصر التحفة الاثني عشريّة**، تعريب: غلام محمّد الأسلمي، اختصار وتهذيب: محمّود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢هـ)، تحقيق: محبّ الدين الخطيب (السعودية- الرياض: الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة والافتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٥هـ).

٦- الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦هـ)، **حقائق التأويل في متشابه التنزيل** (لبنان- بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦م).

٧- ابن خلكان البرمكي (ت ٦٨١ هـ)، **وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** (بيروت: دار صادر، ١٩٧٢م).





٨- جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت ٨٢٨هـ)، **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب** (النجف الأشرف: المطبعة الحيدريّة، الطبعة ٢، ١٩٦٠م).

٩- الشيخ عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٠هـ)، **الغدير (موسوعة الغدير في الكتاب والسنّة والأدب)**، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة.

١٠- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث** (دار نظير عبّود).

١١- نجيب العقيقي، **المستشرقون** (مصر- القاهرة: دار المعارف، الطبعة ٣، ١٩٦٤م).

١٢- رودي بارت، **الدراسات العربيّة والإسلاميّة في الجامعات الألمانيّة**، ترجمة: مصطفى ماهر (المركز القوميّ للترجمة).

١٣- أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدرًا للتشريع الإسلاميّ (لبنان- بيروت: الانتشار العربيّ).

١٤- محمّد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، **تفسير المنار** (تفسير القرآن الكريم) (مصر: مؤسّسة المنار، الطبعة ٢، ١٩٤٧م).

١٥- راجي أنور هيفا، **الإسلام والغرب حوار الحروف وصدام السيوف**.

١٦- محمّد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي (ت ١٣٥٠هـ)، **النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية**.



١٧- ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، **شرح نهج البلاغة**.

١٨- المحامي الأردنيّ أحمد حسين يعقوب، **أين سنّة الرسول وماذا فعلوا بها**.

١٩- الشيخ محمود أبو ريّة (ت ١٩٧٠م)، **شيخ المضيرة (أبو هريرة)**.

٢٠- خضر شايب، **نبوة محمّد (ص) في الفكر الاستشراقيّ المعاصر**.

٢١- المستشرق الإيطالي فرانشيسكو كبريلي، **محمّد والفتوحات الإسلاميّة**، ترجمة: عبد الجبّار الناجي.

٢٢- عمر فرّوخ ومصطفى خالدي، **التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة**.

٢٣- الدكتور عبد الجبّار الناجي، **التشيّع والاستشراق** (منشورات دار الجمل).

٢٤- المستشرق الإنكليزيّ مونتغمري وات (ت ٢٠٠٦م)، **محمّد في المدينة**.

٢٥- المستشرق الفرنسيّ هنري لامنس، **غرب الجزيرة العربيّة قبل الهجرة**.

٢٦- السيّد والي الزاملي، **فتن المسلمين سببها الكتّاب والمؤرّخون ووعّاظ السلاطين** (دار المتّقين).

٢٧- صاموئيل هنتغتون (ت ٢٠٠٨م)، **صراع الحضارات (صدام**



الحضارات).

٢٨- الشيخ فؤاد كاظم المقدادي، **الإسلام وشبهات المستشرقين** (مطبعة المعارف، ١٤٢٥هـ).

٢٩- رسول جعفريان، **أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنّة**، تقديم: محمّد عمارة.

٣٠- المستشرق الألمانيّ رودي بارت (١٩٠١- ١٩٨٣م)، **محمّد والقرآن**.

٣١- الأديب اللبنانيّ أمين نخلة، **مئة كلمة من نهج البلاغة** (لبنان- صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٠م).

٣٢- الدكتور جواد علي (١٩٠٧- ١٩٨٧م)، **تاريخ العرب في الإسلام**.

٣٣- الدكتور عبد الرحمن بدوي (١٩١٧- ٢٠٠٢م)، **موسوعة المستشرقين**.

٣٤- الشيخ محمّد حسين النائيني (ت ١٣١٤هـ)، **تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة**.

٣٥- محمّد عابد الجابري، **في نقد الحاجة إلى الإصلاح** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة).

٣٦- أحمد أمين (ت ١٩٥٤م)، **فجر الإسلام** (مصر- القاهرة: كلمات عربيّة للترجمة والنشر).

٣٧- ليث العتابي، **الأدوات المعرفيّة** (لبنان- بيروت: دار الولاء



للنشر والتوزيع، الطبعة ١، ٢٠١٤م).

٣٨- يوليوس فلهاوزن، **تاريخ الدولة الإسلاميّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة**، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة.

٣٩- الكاتب والمؤرّخ الانكليزي: ج. هرنشو، **علم التاريخ**.

٤٠- السيد حسن القبانجي، **صوت الإمام عليّ في نهج البلاغة** (مؤسّسة إحياء التراث الشيعيّ).

٤١- توماس كارليل، **محمّد المثل الأعلى**، ترجمة: محمّد السباعي (لبنان- بيروت المكتبة الأهليّة، الطبعة ٢).

٤٢- محمود الملّاح، **تشريح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد**، بعناية: سليمان بن صالح الخراشي (منشورات دار الآل والصحب، الطبعة ١، ٢٠٠٩م).

٤٣- السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** (لبنان- بيروت: دار الأضواء، الطبعة ٢، ١٩٨٥م).

٤٤- زكي مبارك، عبقريّة الشريف الرضيّ (القاهرة: مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م).

٤٥- الشيخ محمّد عبده، **شرح نهج البلاغة** (لبنان- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة ٤، ٢٠٠٤م).

٤٦- صبحي الصالح، **شرح نهج البلاغة** (القاهرة: دار الكتاب المصري، وبيروت: دار الكتاب اللبنانيّ).

٤٧- جان بول رو، **الإسلام في الغرب**، تحقيق: نجده هاجر

وسعيد الغز (المكتب التجاريّ للطباعة والنشر، ١٩٦٠م).

٤٨- عاطف معتمد عبد الحميد، **الشيعة في المشرق الإسلاميّ: تثوير المذهب وتفكيك الخريطة.**

٤٩- غوته شاعر ألمانيا الأعظم: مجموعة مقالات، جمع: محمد سعيد الطريحي (سوريا- دمشق: دار نينوى، ٢٠١٠م).

٥٠- هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلاميّة، راجعه وقدّم له: السيّد موسى الصدر (لبنان- بيروت: دار عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠٤م).

٥١- أحمد أمين، **ظهر الإسلام** (القاهرة: مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م).

٥٢- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربيّ**، ترجمة: عبد الحليم النجّار ورمضان عبد التوّاب (مصر: دار المعارف، الطبعة ٥، ١٩٧٧م).

٥٣- شوقي أبو خليل، **كارل بروكلمان في الميزان** (لبنان- بيروت: دار الفكر المعاصر، وسوريا- دمشق: دار الفكر، الطبعة ١، ١٩٨٧م).

٥٤- محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي (الجامع الكبير)**، تحقيق: بشّار عوّاد معروف (بيروت: دار المغرب الإسلاميّ، ١٩٩٨م).

٥٥- أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال** (لبنان- بيروت: دار الأندلس للطباعة



والنشر، الطبعة ٦).

٥٦- ليث العتابي، **الدور الرياديّ للإمام الصادق (ع) في تدوين العلوم ونشرها** (العتبة العلويّة المقدسّة، الطبعة ١، ٢٠١٤م).

٥٧- إبراهيم مدكور، **في الفلسفة الإسلاميّة منهج وتطبيق** (سميركو للطباعة والنشر، ١٩٨٣م).

٥٨- عبّاس محمود العقّاد، **التفكير فريضة إسلاميّة** (بيروت- صيدا: منشورات المكتبة العصريّة).

٥٩- نصري سلهب، **في خطى عليّ** (لبنان- بيروت: دار الكتاب اللبنانيّ.

٦٠- طيبة ماهروزادة، **العلمانيّة والعصرانيّة: دراسة في ضوء الأسس الفلسفيّة والاجتماعيّة**، تعريب: عبد الرحمن العلوي (الطبعة ١، ٢٠٠٦م).

٦١- ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، **شرح نهج البلاغة** (قم: دفتر تبليغات إسلاميّ، ١٣٦٢هـ. ش).

٦٢- المستشرق الفرنسيّ آيتين دينيه وسليمان بن إبراهيم الجزائريّ، **محمّد رسول الله**، ترجمة: عبد الحليم محمود ومحمّد عبد الحليم محمود.

٦٣- محمّد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، **بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمّة الأطهار** (لبنان- بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات).





٦٤- الشيخ حسين جمعة العاملي، **شروح نهج البلاغة ٢١٠ شرحًا** (لبنان- بيروت، خندق الغميق: مطبعة وزنكوغراف الفكر، الطبعة ١، ١٩٨٣م).

٦٥- السيّد محسن الأمين العامليّ، **أعيان الشيعة**، حقّقه وعلّق عليه: السيّد حسن الأمين (لبنان- بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٦م).

٦٦- علي بن زيد البيهقي، **معارج نهج البلاغة**، تحقيق: محمّد تقي دانش (إيران- قم: مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٩هـ).

٦٧- المستشرق الإلماني يوهان فوك، **تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربيّة الإسلاميّة في أوروبا حتّى بداية القرن العشرين**، ترجمة: عمر لطفي العالم.

٦٨- سهيل قاشا، **القرآن بحث ودراسة** (بيروت: دار العارف للمطبوعات، الطبعة ١، ٢٠٠١م).

٦٩- كارل إيرنست، **على نهج محمّد**، ترجمة: حمزة الحلايقة (بيروت: الدار العربيّة للعلوم، ٢٠٠٨م).

٧٠- أجانتس جولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلاميّ** (مطبعة السنة المحمّديّة، ١٩٥٥م).

المجلات والدوريّات

١- "الجذور التكوينيّة للاستشراق في الأندلس"، مجلّة **التوحيد**، العدد (٣٢)، الصفحة ١٢٣.

٢- أنور الجندي، "مخطّطات الاستشراق"، مجلّة **منار الإسلام**، العدد ٧، السنة ١٤.

٣- مجلّة المجمع العلميّ السوريّ، مجلد ١٨، ص ٢٧٠.

٤- محسن القزويني، أثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسيّ الإسلاميّ، مجلة **أهل البيت (ع)**، جامعة أهل البيت (ع) (العراق- كربلاء)، العدد ١، الصفحات ٨٢ - ١٣٥.



المصادر والمراجع الأجنبيّة

1- Von Grunbum, Islam Medievl.

2- Muhammad, Encyclopedia Britannica, 2007.

3- W. Southern, Encyclopedia Britannica Online, 10 Jan. 2007. R, Western Views of Islam in the middle Ages, (Cambrdge, Mass, 1962).

4- Semon Ockley, Sentences of Ali (Wisdom of The East), Lahore, National Book Society.

5- Jamil Sultan، Etude sur Nahj AL – Balagha, (Paris,1994).

المواقع الإلكترونيّة:

1: WWW.BALAGHAH.NET

نهج البلاغة في الدراسات الاستشراقيّة

يحاول الكتاب التركيز على الدراسات الاستشراقيّة ومقولات المستشرقين الذين تناولوا سيرة الإمام علي بن أبي طالب (ع) بشكل عامّ، وكتاب نهج البلاغة بشكل خاصّ. وذلك من أجل إثبات نسبة الكتاب إلى الإمام عليّ (ع) وجمع الشريف الرضيّ.



دار المعـارف الحكميـة
Dar Al maaref Alhikmiah

